الفاطميون والغزو الصليبي

أ.م.د. هيفاء عاصم محمد الطيار
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

المقدمة:

حكمت الدولة الفاطمية (297-567هـ/909-1171م) ما يزيد على قرنين ونصف من الزمان كثير من اجزاء العالم الاسلامي وعلى الرغم من قوتها واتساع نفوذها وقدرة خلفائها على ادارة امورها لكنها لم تسلم من توجية النقد اليها من بعض المؤرخين فتارة يطعنون في نسب خلفاءها وتارة ينعتونهم بالقاب التحقير والامتهان وتارة ثالثة يتهمونهم بالتقاعس عن نصرة الاسلام ابان الزحف الصليبي على بلاد الشام بالرغم ان بعض القوى الاسلامية تعاونت مع الصليبيين نظير اطماع شخصية فقدموا لهم ما يحتاجون اليه من مؤن وعتاد وادلاء يرشدونهم الى الطرق التي ادت بهم في النهاية للوصول الى بيت المقدس.

وهكذا جرت العادة عند بعض المؤرخين من اختزال بعض اسباب النكبات والازمات في شخص او موقف او رسالة او زيارة سفارة او وفد فكما عالجوا الفتنة في اواخر العصر الراشدي واختزلوا اسبابها في شخصية عبدالله بن سبا واختزلوا اسباب سقوط غرناطة في شخص ابو عبدالله الصغير كما انهم اختزلوا سقوط بغداد في شخص مؤيد الدين بن العلقمي فاختزلوا سقوط الساحل الشامي والقدس في شخصية الدولة الفاطمية والتصدي لهم.

لا ننكر ان نظرة الفاطميين تجاة الصليبيين منذ بداية ظهورهم في بلاد الشام كانت نظرة ضيقة لاتختلف كثيرا عن النظرة التي كانوا ينطلقون منها في صراعاتهم ضد القوى الاسلامية الاخرى الموجودة في المنطقة من اجل مناطق النفوذ فقد ايقن الفاطميون ان الصليبيين لم يقفوا عند حد الاستيلاء على انطاكيا وغيرها من المراكز في شمال الشام والتي كانت تابعة للاملاك البيزنطية واستحوذ عليها السلاجقة وانما اخذوا يتوغلون في جنوب الشام صوب بيت المقدس فبذلوا الجهود لمحاربة اولئك الغزاة وصد خطرهم على الرغم مما كانت تعانية الدولة الفاطمية من تدهور احوالها الداخلية نتيجة الازمات الاقتصادية وتنازع فرق الجند الفاطمي وكثرت الثورات وتعدد الفتن الداخلية والخارجية التي ساهمت بنصيب كبير في توغل السلاجقة في الاملاك الفاطمية.

ان النجاحات التي حققها الصليبيون لم يكن مرده الى قوتهم فقط وانما كان نتيجة للتفكك والانقسام الذي اصاب الدولة العربية الاسلامية وما اصاب العرب والمسلمين من معوقات وانتكاسات حالت دون اصابتهم النجاح والتفوق وهذا مما هيأ للصليبيون الفرصة الكافية في احتلال العديد من اراضي بلاد الاسلام والاستقرار فيها بما يقارب قرنين من الزمان فالفرقة بين القوى الاسلامية عززت من وجود هذا العدو الدخيل بيننا.

اولا: ماهية ودوافع الحروب الصليبية

أ.الحروب الصليبية: هو الاسم الذي اطلق على سلسلة الحملات[1] التي شنها مسيحو غرب اوربا على الشرق المسلم بين عامي 489-690هـ/1095-1291م للاستيلاء على الارض المقدسة وانتزاعها من ايدي العرب والمسلمين[2].

وهنالك تعريفات متعددة للحروب الصليبية اوردها الباحثون في هذا المجال منها ما ذكره محمد عبدالله عنان قائلا:"....انها صراع ديني بين الاسلام والمسيحية منذ بداية تحرير الشام والمعارك التي دارت في بلاد الفرنجة بعد فتح الاندلس..."[3].

وعرفها قاسم عبد قاسم قائلا:"انها حركة دينية بقدر ما كانت حركة سياسية كما كانت حركة اجتماعية اقتصادية مثلما كانت حركة فكرية عسكرية..."[4].

اما محمد العروسي المطوي فقد قال عنها:"...لم تكن الحروب الصليبية في معناها الواسع الا فترة زمنية ولونا خاصا من ذلك الصراع الدائم ما بين الشرق والغرب ذلك الصراع الذي اختلفت تسميته باختلاف الازمنة والمقاصد..."[5].

بناء ما تقدم فان الحروب الصليبية ماهي الا فترة زمنية بل وهي جزء من الصراع القائم بين الشرق والغرب اذ بدا منذ اقدم العصور التي نشات فيها المصالح بين الشرق والغرب وان النتائج التي يقرره هذا الصراع هي القوة ان هذا الصراع بدأ منذ عهد الاسكندر المقدوني الذي تمكن من غزو الشرق وتوسع حتى وصل الى بلاد الهند وجاء من بعده الرومان الذين اصطدموا مع الفرس وتواصلت الحروب بينهما حتى ظهور الاسلام اذ تمكن المسلمون من تحرير اراضهم في السيطرة البيزنطية واستمرت المناوشات بينهم حتى الحروب الصليبية[6].

اتخذت الحروب الصليبية تسميتها من الصليب اذ كان المشاركون فيها يخيطون على البستهم عند الصدر علامة الصليب من قماش احمر دلالة على ان الدين احد اسبابها او رمزا لانتزاع الارض المقدسة من ايدي العرب[7].

اذ ان مصطلح الحروب الصليبية لم يستخدم من قبل معاصري تلك الحروب ففي العصور الوسطى كان يشار الى تلك الحروب بتسميات عدة منها الطريق الى الارض المقدسة، السير على درب الرب، التجوال، الارتحال وقد ظهر مصطلح الحروب الصليبية لاول مرة عام 1657م اذا استخدمه المؤرخ الفرنسي لويس ممبور في بحثه المسمى تاريخ الحروب الصليبية في المانيا[8]

ب.دوافع الحروب الصليبية: اختلفت اراء المؤرخين حول اسباب ودوافع الحروب الصليبية ممن قائل ان الدافع الديني هو الدافع الرئيسي لهذه الحروب معللا ان الدين كان دافعا لهذه الحروب عندما استجابت شعوب اوربا لنداء البابا اوربان الثاني في دير كليرمونت في يوم السابع والعشرين من تشرين الثاني من عام 489هـ/1095م والذي قال فيه:"ان من يلق مصرعة في المعركة تحلل في ذنوبة وغفر الله اخطاءة..."[9] وهنالك من علل ان ما اقترفة الصليبيين من جرائم بحق المسلمين[10].

حقيقة ان هذا الدافع لم يكن يخص المسلمين وحدهم بل شملت وحشية الصليبيين حتى السكان العرب المسيحيين مما جعل الدافع الديني ضعيفاً على الاكثر وبالتالي فقد تجمعت عوامل عدة كانت الدافع لتلك الحروب.

1.الدافع الديني: لقد حاول كثير من المؤرخين فهم الحملات والحروب الصليبية على انها ذات دوافع وطبيعة دينية فان مسألة الحج التي اتخذتها البابوية وسيلة مؤثرة في اثارت المشاعر الدينية للاوربيين من خلاله تصوير الكنيسة لسوء معاملة الحجاج المسيحيين في الاراضي المقدسة في فلسطين من قبل المسلمين حسب ادعائهم فهذا باركر احد مؤرخين الحروب الصليبية يقول:"...ان الحملة الصليبية الاولى مجرد قافله حجيج شاكية السلاح تهدف تطهير طريق الحج وتثبيت مواطئ قدم للقادمين منهم...."[11].

كما ان احد المشاركين في هذه الحملة اطلق تسميه الحجاج على اولئك الصليبيين[12] ولا ننسى ما قام به قسم منهم في بث الدعوات حول اضطهاد المسلمين للمسيحيين في حياتهم في بيت المقدس[13] لذا لعب البابا اوربان الثاني بدور مهم في تحريض شعوب اوربا على ضرور تخليص قبر السيد المسيح(عليه السلام) من ايدي المسلمون عندما القى خطابة في السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني من عام 489هـ/1095م في دير كليرمونت[14].

ان الديانات السماوية لا تؤمن بالاعتداء ولا تشرعة ولا تقره بل ان هذه الديانات في حقيقتها ليست الا ردود فعل ضد الظلم والتعسف والاعتداء عبر التاريخ البشري والاسلام دين سماوي يدعو الى الحب والعطف والتسامح فكيف يعتدي على المسيحيين الذين يدينون بدين سماوي اخر يدعو الى نفس المبادئ.

ولو كان حقيقه ما ذكر البابا اوربا ان جموع الصليبيين جاءوا لتحرر قبر السيد المسيح (عليه السلام)من ايدي المسلمين لكانوا قد تركوا جميع ممتلكات الاماكن المقدسة في امان وعدم التعرض لها لكن على العكس قام اولئك القادمين من الغرب الاوربي بسرقة ما موجودة في تلك الاماكن المقدسة ومما يؤيد ذلك ما ذهب اليه اليافعي وابن تغري بردي بالقول:"انهم اخذوا من الصخرة من اواني الذهب والفضة ما لايضبطه الوصف.."[15].

ان كل هذا لايعني انه لم يأت للمشاركة في هذه الحملة قسم من المتدينين من الناس بل ان عدد كبير منهم شارك فيها بهذا الوازع خاصة في ابناء الطبقات الفلاحية الذي كان الجهل مستشريا بينهم فغلفت الحقائق عنهم بلبوس ديني احسن الباباوات والامراء والملوك حياكته[16].

صفوة القول ان القائل بان الدافع الديني كان هو الدافع المسؤول الوحيد عن اثارة هذه الحروب وانه القوة الوحيدة الموجهة له لتخليص المسيحيون الشرقيون الذين يسكنون الاراضي المقدسة والغربيون الذين يأتون لزيارة قبر السيد المسيح(عليه السلام) من اضطهاد المسلمين لهم هو ادعاء باطل لا يتفق وروح الدين الاسلامي وطبيعة الدعوة اليه فقد امر الله سبحانة وتعالى نبيه الكريم محمد(صلى الله عليه وآله)ان يدعو الى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى:" فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ"[17].

وقد اثبتت احداث التاريخ كيف ان الاسلام قد احاط اهل الكتاب برعاية وعناية وكيف ان المسيحيين قد عاشوا في كنف الدولة العربية الاسلامية عيشه هادئه هانئة فهذا بطريق بيت المقدس ثيودسيوس يبعث برسالة عام 256هـ/869م الى زميلة بطرق القسطنطينية اجناتيوس يثني فيه على المسلمين وكيف هم متسامحون وذا قلوب رحيمة وكيف انهم سمحوا للمسيحيين ببناء مزيدا من الكنائس وان المسيحيين يمارسون طقوسهم الكنسية بحرية فالمسلمون قوم عادلون ولم يلقى منهم المسيحيون أي اذى او تعنت[18].

2.الدافع الاقتصادي: عد سعيد عبد الفتاح عاشور الحروب الصليبية اول تجربة من الاستعمار الغربي قامت به الامم الاوربية خارج حدود بلادها لتحقيق مكاسب اقتصادية واسعة النطاق[19].

ان الكثير من المشاركين في هذه الحروب قد شاركو بها لا من اجل خدمة الصليب وتخليص قبر السيد المسيح(عليه السلام) من ايدي المسلمين انما شاركوا بها جرياً وراء المال والثروات التي يتمتع بها الشرق الاسلامي فكانوا يعتقدون ان نهر الفرات كان يفيض بالجواهر والاحجار الكريمة ونهر دجلة في تدفقه كان يحمل معه التوابل التي تشكل عنصرا مهما في حياة المجتمع الاوربي انذاك لذا شارك بها كثير من الصليبيين من اجل استغلال موارد الشرق والمتاجرة بها والحصول على اكبر قدر ممكن من الثروات[20].

ان الشعوب الاوربية كانت تعيش في نظم اقطاعية جائزة تركت الكثير من المساوى والاثار السلبية على الاوضاع المعاشية للفلاحين والعبيد في المجتمع الاوربي[21].

ان الغرب الاوربي قد اصيب عام 487هـ/1094م بكوارث طبيعية متمثلة بالفيضانات المدمرة والاوبئة دفعت الكثير من الناس للهجرة من اراضيها فضلا عن الحروب المحلية بين الامراء الاقطاعيين التي لم تنجح الكنيسة او الملوك في ايقافها مما ادى الى الاضرار بالتجارة وطبيعتها والزراعة وحقولها لذا جاءت الحروب الصليبية لتفتح امام اولئك الجوعى من غرب اوربا بابا جديداً للهجرة وطريقاً للخلاص من الاوضاع الاقتصادية الصعبة التي عاشوا فيها داخل اوطانهم[22] لذا نرى ان الحملة الصليبية الاولى قد ضمت جموعاً غفيرة من الفقراء المساكين وطريدي القانون جميعهم كانوا يفكرون في بطونهم قبل ان يفكروا في دينهم[23].

ان الحروب الصليبية لم تكن فرصة للجوعى فقط انما كانت فرصة للتجار الاوربيين وخاصة تجار ايطاليا وجنوة وفنيسيا التي كسدت تجارتهم بسبب الاضطرابات والمشاكل الاقتصادية فدفعهم الى البحث عن اسواق ومصادر خارجية وخاصة على سواحل البحر الابيض المتوسط[24] لذا فقد جرى تنسيق بين البابوية وبين الدويلات التجارية كايطاليا وجنوة وفنيسيا وكذلك الامراء الفرنج والامبراطور البيزنطي لوضع اساطيلهم في خدمة الحملات الصليبية اذن ان هذه الدول لم تكن مدفوعة الى تقديم مساعداتهم للصليبيين بوازع ديني انما جرت وراء مصالحها الاقتصادية ورآت في الحروب الصليبية فرصة طيبة يجب اقتناصها لتحقيق اكبر قسط من المكاسب الذاتية على حساب البابوية والكنيسة والصليبيين جميعا[25].

لذا نرى انتوني ويست يقول:"...فكثير من الاشراف والعظماء صاروا يعتبرون الحروب بمنزلة مهنة صناعية لاحتشاد وجمع الاموال الكثيرة بل ان التعطش نحو اخذ وجمع الغنائم وحده كان يجذب الجيش الى المحاربة..."(26).

3.الدافع السياسي: يعد الدافع السياسي من الدوافع المهمة في قيام الحروب الصليبية وان غالبية ملوك وامراء الغرب الاوربي شاركوا في الحملات الصليبية يدفعهم حب الظهور وخدمة لمصالحهم السياسية فمن المعروف ان النظام الاقطاعي في اوربا ارتبط ارتباطا وثيقا بالفروسية والحرب واظهار الشجاعة وان حياة السلم كانت تعني البطالة بالنسبة لمحاربين محترفين لا عمل لهم الا القتال تدخلت البابوية ونادت بما يعرف((هدنة الله)) وهي خطر القتال في الايام الاخيرة من الاسبوع والاعياد الرسمية لذا نجد ان الفرسان والمحاربين الذين لم يروا الا خيراً من تلبية نداء البابا اوربان الثاني للحروب الصليبية فوجدوا في هذه الحروب مجالا واسعا لاظهار شجاعتهم والتعبير عن قدراتهم الحربية بعض النظر عما في المشاركة في تلك الحروب الجديدة من سعي مشكور وذنب مغفور[27].فضلا عن ذلك ان النظام الاجتماعي السائد في اوربا ارتبط ارتباطا وثيقا بالارض وانتقال الميراث الى الابن الاكبر ان هذا النظام قد اوجد العديد من الامراء المحرومين من السلطان فضلا عن عدم وجود اقطاعات لهم هذا مما جعل كثير من الامراء ينخرطون في الحروب الصليبية لعل موافقتهم لكل ما تطلبه الكنيسة منهم بالاشتراك في هذه الحروب وتلبية نداء البابوية تجعلهم ينجحون في تاسيس امارات لانفسهم في الشرق تعويضا عما فاتهم في الغرب وهكذا اتفقت الاهواء والرغبات والمصالح الشخصية مع مصالح الكنيسة التي هددت اولئك القادة بان من يعصي اوامرها ورغباتها ستقوم باصدار قرارات الحرمان من النعيم في الاخرة ونيل طاعته في الدنيا[28].

4.الدافع الاجتماعي: تالف المجتمع الاوربي في العصور الوسطى من ثلاث طبقات هي طبقة رجال الدين من الكنسيين والديريين وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان وطبقة الفلاحين الاقنان ورقيق الارض اذا كان التفاوت واضحا بين هذه الطبقات من حيث الامتيازات والمكانة الاجتماعية والمصالح[29].

ان الفلاحين عاشوا في غرب اوربا عيشة منحطة اذ استخدم الفلاح في اعمال زراعية واعمال غير زراعية فقد استخدم في اعمال بناء الحصون والقلاع واصلاح الجسور وغير ذلك[30] امضى الفلاح حياته محروما من ابسط مبادئ الحرية الشخصية فبالاضافة الى الواجبات الضخمة الملقاة على عاتقه عليه ان يدفع ايضا ضريبة الراس التي يتعين على كل قن دفعها سنويا رمزا لعبوديته هذا فضلا عن الضرائب المفروضة على ماشيته وما تنتجه ارضه من مزروعات وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب اوربا تحيى حياة من الفاقة مليئة بالذل والهون لذا انحرط كثير منهم في الحروب الصليبية تخلصا من الفاقة والهون والذل فان ماتوا في الحرب كان الموت احب اليهم من حياة الجوع والذل والعبودية وقد غفر لهم الرب ذنوبهم وان وصلوا الى الارض المقدسة سالمين فان حياتهم الجديدة ستكون باي حال من الاحوال احسن من حياتهم التي عاشوها في بلادهم الاصلية وهكذا لعبت الكنيسة دورها في حث هؤلاء على المشاركة في الحروب فان ماتوا سوف يتمتعون بالسعادة الابدية في العالم الاخر وانها وسيلة لتطهير النفس من الذنوب التي علقت بهم[31].

بناءا على ما تقدم تسنتج ان للحروب الصليبية دوافع عدة وفي ضوء تلك الدوافع تعد الحروب الصليبية ماهي الا حركة كبرى انبثقت من الغرب الاوربي في العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على الدولة العربية الاسلامية بقصد امتلاكها وقد انبثعت هذه الحركة عن سوء الاوضاع الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي سادت اوربا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي واتخذت من الدين ستاراً للتعبير عن نفسها تعبيرا عمليا واسع النطاق فقد كان الشعور الديني والروحي هو الباعث الرئيسي الذي دفع باكثر طبقات المجتمع الغربي الاوربي الى الاشتراك في هذه الحروب ولكن الى جانب ذلك كله كانت كل طبقة تتبع مبدا ماديا مختلفا عن الاخرى فالامراء والفرسان وجدوا في حب القتال والمغامرة فرصة لهم بالاشتراك في تلك الحروب فضلا عن ان الفرسان الذين لا اراضي لهم والابناء الصغار من الاسر الاقطاعية ممن لاحق لهم في وراثة الاقطاعات قد شاركوا في هذه الحروب يحدوهم الامل في ان يحققوا لانفسهم المكانة والارض لتي لم يتمكنوا من تحقيقها في اوطانهم اما طبقة العامة فقد شاركت في الحروب الصليبية لتحقق لها وضعا افضل من وضعها الذي تعيشه في اوطانها كما ان قسما قد وجدوا في الاشتراك بهذه الحروب فرصة للهروب من

العدالة لانهم قد ارتكبوا جرائم وبالتالي فان الاشتراك في الحملات الصليبية سوف يعفيهم من جرائمهم اما المدن الايطالية فقد وجدت فرصتها في الاشتراك في الحروب الصليبية لحصولها على الاموال نتيجة توسع تجارتهم بين الشرق والغرب.

ثانيا: اوضاع الشرق الادنى الاسلامي قبيل الحروب الصليبية:

كان الشرق الادنى الاسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي مقسم بين ثلاث قوى رئيسية هي الدولة العباسية في بغداد والدولة الفاطمية في مصر اما القوة الثالثة هي قوة الدولة البيزنطية.

فمن المعروف ان الدولة العباسية قد اصابها الضعف والانحلال وتمزقت اوصالها اذ لم يعد لها أي نفوذ على الولايات التابعة لها الا النفوذ الروحي لكن حالها قد تغير نوعاً ما بسبب قدوم السلاجقة فقد استطاعوا التخلص من البويهيين ثم غدا السلاجقة جند الخلافة العباسية وحماتها واداتها الحربية في التصدي لاعدائها من البيزنطنيين والفاطميين[32].

فقد استطاع السلاجقة التوغل في اسيا الصغرى وتمكن سليمان بن قتلمن(474-479هـ/ 1081-1086م)[33] من اقامة مملكة شملت اجزاء من اراضي اسيا الصغرى على حساب الامبراطورية البيزنطية وبالتالي غدا ملك السلطان السجلوقي ملكشاه(465-485هـ/1072-1092م)[34] ممتدا من اقليم ما وراء النهر الى الاناضول والشام متضمن دمشق وحلب وانطاكيا [35].

لكن ملك السلاجقة لم يدوم فبعد موت ملشكاه عام 485هـ/1092م ومقتل وزيرة نظام الملك عام 485هـ/1092م تفككت عرى دولة السلاجقة ودب الصراع فيما بين ابناء البيت السلجوقي وقد نشب الصراع بين ابناء السلطان ملكشاه الاربعة وهم بركياروق[36] ومحمد وسنجر ومحمود[37] كما اشتد الصراع بين بركياروق الابن الاكبر لملكشاه وعمه تتش [38] الذي ادى في النهاية الى مقتل تتش عام 488هـ/1095م والذي كان يرى بأحقيته بالسلطنة من ابن اخيه بركياروق[39].

عندها انقسمت دولة السلاجقة الى خمسة اجزاء متنازعة هي سلطنة سلاجقة فارس وعلى راسها بركياروق الذي كان له السيطرة على بغداد وحلب وعلى راسها رضوان ابن تتش[40] ودمشق وعلى راسها دقاق بن تتش[41] وسلطنة سلاجقة الروم والتي كانت عاصمتهم قونيه[42] وعلى راسها قلج ارسلان بن سليمان قتلمش [43] اما سنجر[44] فقد تولى سلطنة خراسان وما وراء النهر[45].

ان صاحبا دمشق وحلب رضوان ودقاق ابنا تتش لم يكونا على وفاق وحاول كل واحد منهما التخلص من الاخر ودخلت في خضم هذا الصراع اطراف عديدة محاولة تأييد ونصر طرف على الاخر كصاحب انطاكيا ياغي سيان وسكمان بن ارتق[46] صاحب النفود في الجزيرة والقدس وفلسطين وصاحب حمص حسين بن ملاعب [47] الملقب جناح الدولة[48] ويفهم من كلام ابن القلانسي كان لهذا الصراع بين الاخوين نتائج سيئة على الجبهة الاسلامية فلو كان الاخوين رضوان ودقاق قد اتفقنا لكانا قد لحقا بالعدو الدخيل شر هزيمة وكابنيه وبين االتوغل في آسيا وسورية الشمالية وبالتالي بدل من الاتحاد لمواجهة العدو المشترك (الصليبيين) قد حاول كل واحد الفتك بالاخر[49].

اما القوة الاسلامية الاخرى فهي الخلافة الفاطمية في مصر فقد نجح الفاطميون بعد جهود جبارة في الاستيلاء على بلاد الشام فلم يمضي عام واحد على دخول الفاطميين الى مصر عام 358هـ/969م حتى ارسل قائد الفاطميين جوهر الصقلي[50] حملة الى بلاد الشام عام 359هـ/970م بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي بغية انتزاعها من سلطان الخلافة العباسية ولتامين حدود مصر من ناحية الشام وفعلا استطاع جعفر الاستيلاء على دمشق ودخولها عام 360هـ/971م بعد موقعتين حاسمتين الاولى في الرملة والثانية في طبرية وقد تم تنصيب الامير سيف الدولة المنذر بن امير الدولة النعمان عامر التنوحي على اقليم العرب بما فيه طرابلس، بيروت، صيدا وهكذا بسط الفاطميين نفوذهم على بلاد الشام عدا انطاكيا التي كانت لاتزال تحت سيطرة الامبراطورية البيزنطية[51].

لكن نفوذ الدولة الفاطمية في بلاد الشام اخذ بالانكماش بعد عام 450هـ/ 1058م وذلك بسبب ما كانت تعانية الدولة من ازمات اقتصادية وحربية وسياسية وقد حاول الفاطميون استعادة نفوذهم في الشام مرة اخرى بواسطة الحملات العسكرية

فنجحوا في استعادة بعض المدن الساحلية حتى مدينة جبيل وهي المناطق التي ظلت بايدهم حتى وصول طلاع الحملة الصليبية الاولى[52].

كانت الخلافة الفاطمية قبيل قدوم الحملة الصليبية الاولى تعاني من اضطرابات شديدة كادت تقضي عليها خاصة بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله عام 487هـ/1094م[53] وتولي ابنة الاصغر المستعلي بالله[54] الخلافة بفضل ما قام به الوزير الافضل بن بدر الجمالي[55] من اقصاء الابن الاكبر للخليفة المستنصر بالله المسمى نزار عن الخلافة رغم احقيته وتولية اخية الاصغر المستعلي بالله فهرب نزار الى الاسكندرية فتابعه اهل الاسكندرية وتلقب بالمصطفى لدين الله ووز له افتكين التركي لكن الافضل استطاع عام 488هـ/1095م ان يهزم نزار وافتكين ثم اخذهما اسرى وبعدها تخلص منهما وبقتل نزار انقسمت الدعوة الاسماعيلية الى نزارية تطعن بخلافة المستعلي والاخرى مستعليه ترى صحة خلافته وفي ذات الوقت لم يكن للمستعلى الذي تولى الخلافة وهو صغير السن أي امر او نهى مع الافضل اذ كان الاخير هو صاحب السلطة الفعلية في مصر[56].

اما عن علاقة الفاطميين بالعباسيين فكان الصراع هو السمة الغالبة على تلك العلاقة فتارة تثير الدولة العباسية الخانقين على الدولة الفاطمية وتارة تخرج بمحاضر انكار نسب الفاطميين والقدح فيهم كما حدث في محضرا الطعن التي حررتها الدولة العباسية عامي 402هـ/1005م و444هـ/1052م[57].

وبالمقابل فان الدولة الفاطمية قامت بدعم كثير من الحركات ضد الدولة العباسية ومثال على ذلك دعمها لحركة البساسيري[58] الذي تمكن من دخول بغداد عام 450هـ/1058م واقامة الخطبة للفاطميين ولم ينقذ الخلافة العباسية انذاك الا تدخل طغرلبك السلجوقي[59].

ان هذه الخلافات والانقسامات جاءت على حساب وحدة الجبهة الاسلامية سيما على حساب تماسك المسلمين في الشرق الادنى الامر الذي جعل الاجواء ممهدة للصليبيين لغزو الشام في سهولة والاستقرار فيه ردحاً من الزمن فقد وصف ابن القلانسي الوضع قائلا:"...وفي هذه السنة [عام 495هـ] وردت الاخبار بما اهل خراسان والعراق والشام عليه من الخلاف المستمر والشحناء والحروب والفساد وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الولاة عنهم وعن النظر في اموالهم بالخلف والمحاربة..."[60].

اما القوة البيزنطية وهي القوة الثالثة التي كانت تحكم الشرق الادنى الاسلامي فكانت قد اجتازت تغيرات بالغة الاهمية قبيل الحروب الصليبية اثرت في تطور سير الاحداث في الشرق الادنى الاسلامي فبعد ان انتصر السلطان عضد الدين الب ارسلان(455-464هـ/1063-1071م) على تلك القوات التي يقودها الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع في موقعة ملاذكرد عام463هـ/1071م كانت بمثابة الكارثة العظمى والزلزال المدمر على الامبراطورية البيزنطية ولقد نجم عن انتصار السلاجقة ان استولى السلاجقة بقيادة سليمان بن قتلمش على معظم اراضي اسيا الصغرى واخذ الخطر السلجوقي يحدق بالعاصمة البيزنطية وبالتالي نرى انه عندما تولى امر الامبراطورية الكسيوس كومنين(473-512هـ/1081-1118م) لم يبقى لها من الاراضي في اسيا الصغرى سوى سواحل البحر الاسود وبعض المدن الداخلية المتناثرة التي فقدت صلتها الى حد كبير بالحكومة المركزية في القسطنطينية لذا جاءت الحروب الصليبية لتمثل مصلحة مشتركة بين البيزنطيين والغرب المسيحي فمنذ بداية الاعداد للدعوة للحروب الصليبية ضد المسلمين اشتركت الدولة البيزنطية في المجمع الديني الذي عقد في شمال ايطاليا في مدينة بياكنزا عام 488هـ/1095 ولم يكن هذا الاشتراك البيزنطي في ذلك المجمع الا لطلب معونة البابا للدولة البيزنطية ضد السلاجقة زعما من الامبراطور بان السلاجقة يهددون المسيحية جميعا ولا يتوقف تهديدهم على الدولة البيزنطنية وقد اقتنع البابا اوروبان الثاني بدعوى البيزنطينين وان الحاجة ماسة لاجراء ضد الحروب[61].

تلك كانت احوال القوى السياسية في الشرق الادنى الاسلامي قبيل قدوم الصليبيين فالصليبيون لم يواجهوا جيشا اسلاميا موحدا بل كانوا يواجهون قوى متفرقة.

ثالثا: الدعوة للحروب الصليبية:

يشير المؤرخون ان العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والكنيسة وربما ابان النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي قد اتسمت بالود والتقارب وقد حاولت البابوية استغلال هذه الصداقة لصالحها الخاص وذلك بأظهار، نفسها حامية للدين المسيحي في العالم الغربي والشرقي وانها تهدف الى رعاية المسيحين مهما تباينت مذاهبهم فقد تبنى هذه السياسة البابا جريجوري السابع466-478هـ/1073-1085م والذي بدا في الافصاح عن اطماعة الخاصة في بسط سلطان كنيسه روما على كافة الكنائس في بلاد الشام فقد كان يعتزم المسير بنفسه الى بيت المقدس ولكن يبدو ان انشغال البابوية في نزاعها مع الامبراطور هنري الرابع حول التقليد العلماني هو الذي اجل هذا المشروع[62].

تولى العرش البابوي البابا اوربان الثاني(481-493هـ/1088-1099م) الفرنسي الاصل فقد امتاز بكونة رجل ذا شخصية مميزة لذا فهو اصلح الشخصيات المعاصرة لتنفيذ المشروع البابوي الكبير فقد كانت لدية الجراة للدعوة للحركة الصليبية ورعايتها[63].

يشير اسد رستم ان البابا اوربان الثاني ما كاد ينصب على الكرسي البابوي حتى اخذ بفتح باب المفاوضات مع الامبراطور البيزنطي الكسيوس لتسوية المشاكل المتعلقة بينهما وتقريب القلوب بين فرعي الكنيسة الام فقام برفع قرار الحرمان الذي كان البابا جويجورى السابع قداتخذه ضد الكسيوس[64].

يقول Vasiliev ان هنالك العديد من المؤرخين عند حديثهم عن الحروب الصليبية يجمعون على ان هذه الحروب قامت تلبية لاستنجاد الامبراطورية البيزنطية اواخر القرن الحادي عشر بالغرب الاوربي لحمايتها من المسلمين السلاجقة وهو زعم قائم على فكرة خطاب ارسله الامبراطور الكسيوس كومنين الى روبرت فلاندر(464-486هـ/1071-1093م) يستنجده فيها ضد السلاجقة وايقاف تيارهم الجارف في اراضي الامبراطورية[65].

يبدو ان كونت فلاندر كان قد حج الى الاراضي المقدسة عام 480هـ/1087م ومر في طريق عودته بالدولة البيزنطية حتى التقى الكسيوس وطلب الاخير منه العون على السلاجقة وقد وعده الكونت بامداده بخمسائة فارس من اوربا[66].

مما لاشك فيه ان الامبراطور الكسيوس قد طلب العون من البابا اوربان الثاني ومن المجتمعين في كليرمونت وبياتشرا وايضاً من بعض رجال الاقطاع من غرب اوربا للتخلص من السلاجقة الذين سيطروا على كثير من اراضي الامبراطورية البيزنطية ومع ذلك لا نستطيع ان نثبت ان الحروب الصليبية قامت لدعم الكسيوس وتخليصة من السلاجقة واعادة املاكه التي اغتصبها السلاجقة بما فيها انطاكيا وبيت المقدس وبذلك يستطيع ان يمحو ذكرى هزيمة البيزنطنيين في معركة ملاذكرد عام 463هـ/1071م وربما يكون قد وصل الى ذهنه انه اذا نجح في ذلك فانه سوف يحل العنصر المسيحي الغربي بدلا من العصر السلجوقي المسلم في بيت المقدس[67].

والواقع ان الحملة الصليبية الاولى ليست الا حج جماعي مسلح قام به الغرب الاوربي على الاراضي المقدسة في الشرق وقد باركته البابوية مستغلة في ذلك ازدياد الشعور الديني الذي اجتاح الغرب الاوربي في تلك الفترة مصورة المحنة القاسية التي تمر بها الكنائس في الشرق وما يرزخ فيه بيت المقدس من الذلة والمهانة وما اشيع من حكايات تروى عن سوء معاملة الاتراك السلاجقة للحجاج القادمين من الغرب الاوربي[68] وقد تزعم بطرس الناسك[69] نقل هذه الصورة الى الغرب فقد بالغ هذا الرجل في تصوير السخط والمهانة التي تقع على المسيحيين في الغرب ان يهبوا لمساعدة مسيحيوا الشرق وانقاذ المدينة المقدسة وقد التقى بطرس الناسك بالبابا اوربان الثاني في روما وسمح له الاخير بوعظ المسيحين كما سافر بطرس الى فرنسا وايطاليا وقام بالوعظ في كل مدينة او قرية مر بها يحث الناس جميعاً على حمل الصليب والتوجه لمساعدة اخوانهم البوساء في بيت المقدس وحثهم ايضا على ضرورة السفر بعائلاتهم واولادهم والاستقرار في فلسطين حتى لايشعر الحجاج المسيحيون بانهم غرباء عن وطنهم الروحي[70].

يتضح مما تقدم ان سماح البابا اوربان الثاني لبطرس الناسك بوعظ المسيحيين في كل مكان ما هو الا تهيأ للعقول لقبول هذه الحركة فضلا عن ذلك الرغبة في نشر المسيحية من خلال هذه الحروب كذلك لتوحيد كنائس الشرق والغرب تحت زعامته البابا اوربان الثاني وتاكيداً لدورة كزعيم للعالم المسيحي.

اعلن البابا اوربان الثاني الى عقد مؤتمر كنسي في مدينة كليرمونت بفرنسا في الثامن عشر من شهر تشرين الثاني والمصادف شهر ذي القعدة من عام 488هـ/1095م فقد استجاب له عدد كبير من رجال الدين وقد ناقش المشاركون في هذا المؤتمر الذي استمر لمدة تسعة ايام التنظيمات التي يمكن ان تؤدي الى التخلص من الظروف غير الملائمة التي تمر بها الكنيسة والعمل على تصحيح الاخطاء [71]وفي اليوم الاخير من ايام المؤتمر خرج البابا اوربان الثاني وخطب في جمهور الحاضرين باسلوب حماسي مؤثر مدعيًا ما تعانيه الاراضي المقدسة في فلسطين وحجاج بيت المقدس من متاعب بسبب هيمنة المسلمين على تلك الاراضي الامر الذي يتطلب من مسيحيوا الغرب الاسراع لنجدة اخوانهم مسيحيوا الشرق. كانت تلك الخطبة الحماسية ايذاناً بقيام تلك الحروب المسماة بالحروب الصليبية[72] وما ان انتهى البابا اوربان من القاء خطبته حتى صرخ الحاضرون بالحرب وهم يرددون العبارة (Deuslevolt) أي ان الله يريد ذلك هذه العبارة قد اضحت صرخة في حرب المسلمين[73].

وعلى اية حال كان الشعور الديني والروحي هو احد البواعث التي دفعت كثير من الناس في المجتمع الاوربي الى الاشتراك في هذ الحروب ولكن الى جانب ذلك كانت كل طبقة تتبع مبدا ماديا مختلفا عن الاخرى فالفرسان الذين لا ارض لهم والابناء الصغار من الاسر الاقطاعية ممن لاحق لهم في وراثة الاقطاعات انضموا الى الحملة يحدوهم الأمل ان يحققوا لانفسهم المكانة والارض التي لم يتمكنوا من تحقيقها في اوطانهم وهنالك من الامراء والفرسان دفعهم حب القتال والمغامره الى الاشتراك في هذه الحملات اما الطبقة الدنيا فانها وجدت في اشتراكها في هذه الحروب خلاصا من وضعها الذي لايحتمل وقسم اخر منهم وجد في هذه الحروب فرصة للهروب من العدالة لان الاشتراك فيها سوف يعفيهم من العقوبة التي يستحقونها نتيجة لما اقدموا عليه من جرائم اما المدن التجارية الايطالية المتعطشة للربح والاموال وجدت في هذه الحروب فرصتها لتحقيق ارباحا كثيرة تضاف الى ثرواتهم نتيجة توسع تجارتهم بين الشرق والغرب[74].

استجاب لدعوة البابا اوربان لحمل السلاح نحو مائة وخمسين الفاً اكثرهم من الفرنسيين والنورمان ويعلل براور الى اشتراك النورمان في الحملة الصليبية الاولى بدافع من كراهيتهم العميقة للامبراطورية البيزنطية ورغبتهم في انتزاع الممتلكات لانفسهم على حساب الامبراطورية البيزنطية اذ كان النورمان يرون في هذه الحروب عملاً عسكرياً موجهاً ضد الامبراطورية البيزنطية للعمل على اقطاع اجزاء جديدة منها تعوض ما فقده النورمان في جنوب ايطاليا[75].

حدد البابا اوربان الثاني شهر رمضان/اب من عام 489هـ/1096م موعدا لتحرك القوات الصليبية الى الشرق ولكن لم يحل شهر آذار من عام 489هـ/1096م حتى اخذ المشاركون في هذه الحملة يعدون العدة في تجهيز الخيول والبغال والعتاد والخيام وكافة الاسلحة وبدا القادة في تجميع جيوشهم وقد اتخذوا افراد هذه الحملة الصليب شعارا لهم في اثناء هذه الاستعدادت انطلقت مجموعات اقل تنظيما وتسليحاً والتي عرفت باسم(حملة الشعوب الصليبية)[76].

حتى قبل ان يعود بطرس الناسك من جولته في الغرب الاوربي لجمع المتطوعين قاد جزء من حملة الشعوب الصليبية زعيم من زعماء العامة يدعى والتر المفلس الذي قاد اتباعه البالغ عددهم ثلاثة الاف معظمهم من الفرنسيين سلكوا الطريق عبر هنغاريا حتى وصوا الى اراضي الدولة البيزنطية لكن الامبراطور الكسيوس لم يسمح لهم بدخول القسطنطينية انما ابقائهم خارج اسوار العاصمة هذه الجماعة لم تتورع من اثاره الرعب بين سكان المناطق التي مرت بها فقد قاموا باعمال سلب ونهب واعتداء على الاهالي الامنين[77].

اما بطرس الناسك فقد طاف فرنسا وبلدان اوربا يدعو للحرب فاجتمع حوله واستجاب لدعوته خمسة عشر الف من العامة قاد جماعته في آب/ رمضان عام 489هـ/1096م مخترقان المانيا وهنغاريا لم تكن جماعة الناسك احسن حالا من جماعة المفلس فقد اساءوا السيرة اثناء عبورهم اراضي الدولة البيزنطية وفي طريقهم الى القسطنطينية ومع ذلك استقبلهم

الامبراطور ومنحهم حق الاقامة في اراضية الا انهم ردوا على ذلك بالاعتداء على المواطنين البيزنطيين وسلب اراضيهم بل امتدت يد العدوان الى الاماكن المقدسة المسيحية في تلك البلاد[78].

انضمت جماعة ولتر المفلس الى جامعة بطرس الناسك وهم يفتقرون الى القيادة الموحدة ووصلوا الى نيقية عاصمة سلاجقة الروم فاستطاع الاخيرين بزعامة قلج ارسلان ان ينزلوا بهم هزيمة ساحقة قرب مدينة نيقية حيث ابادوهم عن اخرهم ولم ينج منهم الا القليل قد هربوا نحو القسطنطينية وعلى راسهم بطرس الناسك[79].

يتضح مما تقدم ان الامبراطور الكسيوس وشعبه قد اصيبوا بخيبة امل فقد اعتقدوا ان البابا اوربان الثاني سوف يرسل لهم نجدة عسكرية لمساعدتهم ضد اعدائهم السلاجقة لكن الواقع عكس ما توقعوا فهولاء هم من الدهماء دخلوا اراضي الامبراطورية ليحصلوا على الغذاء والكساء عن طريق السلب والنهب والاعتداء على رعايا الامبراطور

بعد ان ابيدت حملة العامة على يد قلج ارسلان وقواته جاء الشطر الثاني من الحملة الصليبية الاولى والمعروفة بحملة الامراء اذ تولى زعامتها عدة امراء لكل منهم اتجاهاته وجندة وسياسته الخاصة مما جعل تلك الحملة في حقيقتها عبارة عن عدة حملات متعارضة في سياستها واتجاهاتها[80].

فالمجموعة الاولى من حملة الامراء قادها جودفري دي يوبون امير لوثرنجيا واخوة بلدوين البولوني من اللورين فضلا عن عدد من الامراء اما المجموعة الثانية فكانت تحت قيادة بوهيموند النورماني امير تارانت ومعه ابن اخية تانكرد فضلا عن مجموعة من الامراء اما المجموعة الثالث فكانت تحت زعامة ريموند صاحب تولوز يرافقه ادهيمر دومونتيل نائب البابا اوربان في هذه الحملة.

اما المجموعة الرابعة فكانت تحت قيادة روبرت امير نورمنديا ولهؤلاء الامراء الاقطاعيين يرجع الفصل في تحقيق الحملة الصليبية الاولى غايتها المرجوة وذلك بمساعدة الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين[81].

في جمادي الثاني/ مايس من عام 490هـ/1097م تم التوصل في القسطنطينية الى عقد اتفاقية بين الامبراطور البيزنطي والامراء الصليبيين تعهد فيها الامبراطور البيزنطي بانه يحمل الصليب ويتولى قيادة الحملة الصليبية مخترقا بها آسيا الصغرى كما تعهد ايضا بان يضمن لهم سلامة العبور في اراضية وان يمدهم بالاموال والخيول وكافة المؤن التي تساعدهم على التصدي للسلاجقة وبالمقابل فالامراء الاربعة تعهدوا للامبراطور ان يعيدوا اليه اراضيه التي سلختها القوات السلجوقية بعد تخليصها من ايديهم[82]

تابعت القوات الصليبية مسيرها صوب مدينة نيقيته عاصمة الاتراك السلاجقة فقد وصلوها في جمادي الثاني من عام 490هـ/1097م وضربوا حولها حصار قويا فقد احسن الصليبيون اختيار الوقت لتوجيه ضربتهم الى مدينة نيقيته حيث كان زعيمها قلج ارسلان غائبا عنها يدافع عن حدوده الشرقية ضد غارات الدانشمند جبرائيل الذي اعتدى على مدينة ملطية فاستغاث به سكان نيقيته لكنه لم يلقى بالاً للخطر القادم من الغرب خاصة وانه قد اوقع الهزيمة الساحقة باتباع بطرس الناسك من قبل عاد قلج ارسلان ببعض قواته الذين قاتلوا الصليبيين لكن الاخيرين طلبوا النجدة من الامبراطور البيزنطي الذي امدهم بقوات بيزنطية وبعد عدت مناوشات مع قوات ريموند انحسب قلج ارسلان لينتظر وصول باقي جيشه لكن اهل المدينة راسلوا الامبراطور البيزنطي وحملت سفارتهم اليه الهدايا وابدوا استعدادهم لتسليمة المدينة ان هو آمن لهم السلامة والامان فاستجاب الامبراطور لدعوتهم فدخل نيقية وحقن دماء اهلها وهكذا استعاد البيزنطيون نيقية بعد ان ظلت سنوات بايدي السلاجقة[83].

واصلت القوات الصليبية زحفها بعد سقوط نيقية فوصلوا الى ضورليوم في شعبان/ تموز من عام 490هـ/1097م وقد صحبت القوات الصليبية قوة بيزنطية صغيرة يقودها القائد تاتيكوس اما قلج ارسلان فقد اضطر الى عقد معاهدة مع الدانشمند وهكذا واجهت القوات الصليبية بقيادة بوهيموند بعد ان جاءها المدد من من جماعة الصليبيين القوات التركية المتحالفة، فاستطاعت القوات الصليبية القضاء على القوات السلجوقية في معركة ضور اليوم اذ عدت هذه المعركة من

المعارك الفاصلة في التاريخ لان فيها تم القضاء على قوة السلاجقة واسترداد البيزنطيون للجزء الغربي من شبة جزيرة الاناضول[84].

على الرغم ان في معركة ضورااليوم قد تكبد منها الصليبيون الخسائر الكثيرة في الارواح الا ان النصر كان حافزا ومشجعا لهم على الاستمرار فقد واصل الجيش الصلبيي توغلوه في داخل آسيا الصغرى شقوا طريقهم بالقوة نحو فريجيا وكبادوكيا فالتقى الصليبيون بجيش السلاجقة بقيادة الامير حسن امير كبادوكيا والدانشمند حينها دارت معركة سريعة قادها بوهيموند النورماندي بمهارة اذ انتهت هذه المعركة بفرار السلاجقة فاستطاع الكسيوس انتزاع ازمير وافيزوس وسرديس وبذلك استرد البيزنطيين آسيا الصغرى الغربية وشؤاطها[85].

وصلت القوات الصليبية الى مشارف بلاد الشام وهنا ظهرت الاطماع الشخصية للامراء الصليبيين فقد انقسمت الحملة في وجهتها الى الاراضي المقدسة الى فرق شرقا بقيادة بلدوين دي بورج وتنكرد الذي استطاع الاستيلاء كل مدينة الرها فقد دعاه سكانها الامن الى دخولها وان يقيم اولى الركائز المسيحية هنالك فقد كان بلدين اسرع الامراء الصليبيون الى تحقيق اهدافه الشخصية ومن ثم اصبح موضع حسد من بقية الامراء وهكذا تشكلت اول امارة صليبية من الشرق في عام 491هـ/1098 م[86]. بينما تابع الجيش الصليبي مسيره جنوبا حتى وصل الى مدينة انطاكيا[87] عاصمة سورية الجنوبية[88].

رابعا: موقف الدولة الفاطمية من الحروب الصليبية

أ. موقعها من حصار مدينة انطاكيا وسقوطها

ظلت انطاكيا ضمن املاك الدولة البيزنطية الى ان استولى عليها السلاجقة عام 448هـ/1084م على يد سليمان بن قتلمش وتولى حكمها ياغي سيان من قبل السلاجقة فعندما علم بالزحف الصليبي على المدينة بادر الى تحصينها وادخار الاقوات فيها فضلا عن قيامه باخراج النصارى من المدينة حتى لايكون هنالك أي نوع من التعاون بينهم وبين الصليبيين فقد قال للنصارى:" انطاكيا لكم تهبوها لي حتى انظر ما يكون منا ومن الفرنج..."[89].

حاصر الصليبيون انطاكيا لمدة تسعة اشهر من عام 491 هـ/1097م اظهر خلالها حاكم المدينة ياغي سيان ومن معه الشجاعة الفائقة وتحملوا الحصار المفروض عليهم وقد كبدوا الصليبيون خسائر كثيرة خاصة وان الاخرين كانوا يعانون من نقص واضح في الاقوات وانتشار المجاعة ومرض الطاعون بين صفوفهم فاضطر قسم منهم للعودة الى بلادهم كوليم النجار وبطرس الناسك[90].

اما من بقي منهم فكانوا ياملون في وصول الامدادت اليهم وفعلا امدتهم جنوه باسطول محملا بالامدادات عن طريق ميناء السويدية كي يواصلوا حصارهم لانطاكيا[90].

توالت استغاثات اهل انطاكيا المحاصرين من قبل الغزاة الى امراء المسلمين يدعونهم للمبادرة لنجدتهم فقد ارسل ياغي سيان ابنه الى صاحب حلب رضوان يحثه على طلب المساعدة من القوى الاسلامية المجاورة لانقاد انطاكيا فاعد رضوان جيشا ضم فيه سقمان بن ارتق وامير حماة فضلا عن قوات من حمص والارانقة تجمعت هذه القوى في حارم[92] وقد كانت خطتهم تقضي بان تقوم هذه القوى بمهاجمة الصليبيين فيكون الاخيرين بين المطرقة والسندان من جهة قوات ياغي سيان ومن جهة اخرى القوات الاسلامية التي تجمعت في حارم غير ان بعض النصارى من سكان تلك النواحي استطاعوا اخبار الصليبيون بذلك فاشتبك الطرفان في شهر ربيع الاول/ شباط من عام 491هـ/1098م انتهت بفرار حامية حارم وبالتالي استيلاء الصليبيون على مدينة حارم فضلا عن قوة حارم التي ابيدت[93] كانت هنالك قوة اسلامية اخرى على راسها صاحب دمشق دقاق ومعه طغتكين اتابك دمشق وجناح بن ملاعب امير حمص فقد عسكرت قرب شيزر[94] استطاعت هذه القوة ان تحقق انتصاراً على الصليبيين عندما تقابلت معهم في نهاية شوال/ايلول من عام 491هـ/1098م[95].

ادرك ياغي سيان عدم جدوى محاولة تلك القوى الاسلامية من انقاذ انطاكيا فارسل نداءا الى بركياروق سلطان سلاجقة الروم والى اتابك الموصل كاربوغا الذي لبى النداء وجهز جيشا كبيرا اجتمع معه ملك دمشق دقاق بن تتش وطغتكين اتابك

وسكمان بن ارتق وصاحب سنجار ارسلان تاش وغيرهم من الامراء لكن الصليبيين قد سمعوا بذلك الجيش فقرروا احكام حصارهم لانطاكيا سيما وقد وصلت اليهم في ربيع الثاني/آذار من عام 491هـ/1099م العديد من السفن تحمل المؤن والاسلحة الى جانب عدد كبير من الحجاج[96].

ورغم ما ابده المسلمون المحاصرون في انطاكيا من الشجاعة والحزم الا ان الخيانة قد لعبت دورها في سقوط المدينة بايدي الصليبيين فقد قام رجل ارمني الاصل يدعى نيروز والذي ياغي سيان قد عهد اليه ياغي سيان بحراسة احد ابراج المدينة من الجهة الجنوبية بمراسلة بوهيموند سراً على ان يسلم لهم انطاكيا مقابل مالاً واقطاعا وهكذا استطاع الصليبيون دخول المدينة من هذا البرج فنهبوا وقتلوا اعداد كثيرة من المسلمين وقتل ياغي سيان على يد احد الارمن وارسل رأسه الى بوهيموند[97].

اما الزحف المسلم بقيادة كاربوغا حاول اقتحام انطاكيا عن طريق قلعتها التي لم تزل بايدي المسلمين وساعدهم شمس الدولة بن ياغي سيان فلجوا الى تجويع الصليبيين داخل انطاكيا باحكام الحصار عليهم الذي استمر لمدة ثلاثة اسابيع حتى ساءت احوالهم فطلبا العون من الامبراطور البيزنطي الكسيوس ولكنه توجه اليهم اخيرا وهو في الطريق قد اخبر بان السلاجقة قد استولوا على المدينة فقرر العودة الى بلاده للحفاظ على جيشه وبلاده الذي هي اهم بكثير من سلامة انطاكيا والصليبيين[98] وهكذا فقد الصليبيون داخل انطاكيا كل امل بالخلاص وقرروا الخروج من انطاكيا لملاقاة القوات الاسلامية فقد امر بوهيموند قواته بالخروج في رمضان/ تموز من عام 491هـ/1099م لملاقاة قوات المسلمين لكن كوبوغا قد ارتكب خطا جسيما اذ خالف رآي المسلمين الذين معه والقاضي بالوقوف على باب انطاكيا وقتل كل من يخرج من الصليبيين اما كاربوغا فقد قال لهم لاتفعلوا امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فتقتلهم جميعا وهكذا اضاع كاربوغا فرصة القضاء على الصليبيين فعندما تكاثر عددهم انزلوا الهزيمة بالمسلمين[99].

وهكذا سقطت انطاكيا وامتلكها الصليبيون واستطاعوا ان يقيموا امارة صليبية اخرى بعد امارة الرها وذلك في شهر ذي القعدة / ايلول من عام 491هـ/1098[100].

اما عن موقف الدولة الفاطمية من حصار مدينة انطاكيا وسقوطها بيد الصليبيين فقد ذكر المؤرخون ان الخلافة الفاطمية لم تكن تدرك طبيعة الحركة الصليبية عند وصلهم الى اطراف الشام عام 491هـ/1098م فقد كان صاحب السلطة الفعلية في مصر وقتذاك هو الوزير الافضل بن بدر الجمالي فالافضل لم يدرك حقيقة هذه الحركة فقد اعتقد ان جيوش الصليبيين جاءت الى بلاد الشام لمساعدة ومساندة الامبراطورية البيزنطية لكسر شوكة السلاجقة اعداء الدولة الفاطمية الالداء لذا فارادوا انتهاز الفرصة وعقد تحالفا مع الصليبيين حيث تكون انطاكيا للصليبيين وان تكون باقي مدن الشام من نصيب الفاطميين[101].

ربما استند الوزير الافضل في تفكيرة هذا الى بعض السوابق التاريخية لان الدولة البيزنطية ايام صحوتها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لم تتعد املاكها في بلاد الشام مدينة انطاكيا فظن الافضل ان اولئك الصليبيين انما اتوا في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ليفعلوا في بلاد الشام مثلما فعل الامبراطور نقفور فوقاس والامبراطور حنا الشمشيق في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[102].

يذكر وليم الصوري ان الافضل قد ارسل سفارة الى الصليبيين وهم يحاصرون انطاكيا يعرض عليهم عقد تحالف بينهما وكان ذلك في ربيع الاول/شباط من عام 491هـ/1098م بان يتم التعاون بينهما للقضاء على السلاجقة على ان يتم تقسيم الغنيمة بعد ذلك بينهما بحيث يكون القسم الشمالي (سوريا) من الشام للصليبيين في حين يحتفظ الفاطميين بالقسم الجنوبي (فلسطين) وقد بينت السفارة الفاطمية ان الفاطميين على استعداد تام لمساعدتهم بتقديم الجند والذخيرة كما ان السفارة الفاطمية نقلت الى الصليبيين فرحة خليفة مصر المستعلي بالله عندما وصلت اليه الاخبار بسقوط نيقية وهزيمة فلج ارسلان واثلج صدرة قيام الصليبيون بحصار انطاكيا[103] لقد قوبلت هذه السفارة الفاطمية من الصليبيين بالحفاوة والتبجيل وتشير بعض المراجع الى ان الصليبيين كانوا قد اخذوا بنصيحة الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين الذي نصحهم في

اثناء وصولهم الى القسطنطينية ان يحاولوا محالفة الفاطميين في مصر والتقرب اليهم وذلك لعلمه بالعلاقة العدائية بين الفاطميين والسلاجقة وتشير هذه المراجع الى قيام الصليبيين بارسال من نيقية سفارة الى مصر[104]

ان العرض الفاطمي يدل دلالة اكيدة على عدم ادراك الافضل لحقيقة الحركة الصليبية والتي كان من اهم اهدافها استعادة بيت المقدس والاراضي المقدسة من ايدي السلاجقة اما الصليبيون الذين كانوا يعانون من وضع عسكري سيء فانهم تصرفوا ازاء هذه السفارة بكل حيطة وحذر وحاولوا كسب الوقت من اجل وصول الامدادات اليهم هذه من ناحية ومن ناحية اخرى عمل الفاطميون على التزامهم موقف الحياد في هذه الفترة حتى ينهي الصليبيون صراعهم مع السلاجقة حول انطاكيا[105].

عند انتهاء فترة الضيافة التي استمرت لعدة اسابيع عادت السفارة الفاطمية الى القاهرة ومعها سفارة صليبية صغيرة لاستكمال المفاوضات[106].

لكن هذه المفاوضات لم تاتي باية نتيجة تحقق للافضل ما كان يسعى اليه من اقتسام الشام وفلسطين فيما بينهما[107].

يتضح مما تقدم كانت لهذه السفارة لها جوانب سيئة على الجانب الفاطمي اهمها ادراك الصليبيين لمدى الفرقة المذهبية السائدة في العالم الاسلامي آنذاك اما بالنسبة للصليبيين فكانت لتلك السفارة آثارها الايجابية عليهم فقد اكتسبوا وضعا سياسياً معترفاً به في العالم الاسلامي وهكذا اخذ الصليبيون يلعبون دورهم في مهارة فائقة فلم يكتفوا ببث شعور الطمانينة في نفوس الفاطميين واعطائهم صورة غير حقيقية عن مشروعاتهم في بلاد الشام وانما حاولوا ايضا ان يسدلوا غشاوة على ابصار سلاجقة دمشق فأرسلوا اليهم يطمأنوهم الى انهم لا يطمعون الا في استرداد الاماكن والبلدان التي كانت تابعة للبيزنطيين في الماضي القريب اي الرها وانطاكيا واللاذقية[108].

لذا عزم الافضل ان لايضيع الوقت وان يستغل فرصة انشغال السلاجقة في حربهم مع الصليبيين فخرج بنفسه في شهر شعبان/تموز من عام 491هـ/1098م على راس جيوشه الى بيت المقدس وضرب حوله الحصار لمدة اربعين يوما واخيرا استطاع استرداده من سكمان الارتقي واخيه ايلغازي[109].

وبذلك عادة سيادة الدولة الفاطمية مرة اخرى على كل فلسطين بحيث لم ينته عام 491هـ/1098م الا وكانت حدود الدولة الفاطمية قد امتدت حتى نهر الكلب شمالا ومجرى نهر الاردن شرقا[110].

ب.موقفها من الزحف على بيت المقدس وسقوطه:

يعد سقوط انطاكيا بيد الصليبيين تحركت القوات الصليبية بقيادة ريموند في الرابع عشر من المحرم/ تشرين الثاني من عام 492هـ/1098م الى معرة النعمان[111] الذي قاوم اهلها مقاومة شديدة فقد ظلوا صامدين املين وصول النجدة من امير حلب رضوان ومن امير حمص جناح الدولة لكن الامور لم تجري بما تشتهي الانفس فقد وصلت حملة صليبية بقيادة بوهيموند لمعاونة ريموند في حصاره للمعرة واخيرا نجحوا في امتلاكها بعد ان قتلوا خلقاً كثيرا منهم[112].

بعدها اتجه ريموند مع قواته الى كفرطاب[113] حيث وصلها في ربيع الاول/كانون الثاني 492هـ/1099 وفي تلك المنطقة لحق بهم روبرت النورماندي وتنكرد. بدات اتصالات بينهم وبين امراء المسلمين بالشام الذين انتهزوا فرصة انحلال السلاجقة فيذكر سعيد عبد الفتاح عاشور ان الاسر المحلية بشمال الشام قد عمها الفرح لما حدث للسلاجقة واظهرت استعدادتها لعقد اتفاقيات مع الصليبيين *فنجد* امير حماة عمل على مساعدتهم وقد سلك بنى منفذ في شيزر وكذلك بنو عمار في طرابلس وصاحب صور نفس مسلك صاحب حماة فقد كان لحيادهم امرا مهما للصليبيين حتى يضمنوا سلامة زحفهم جنوبا صوب القدس[114].

يتضح مما تقدم ان الخوف قد سيطر على اولئك الذين عقدوا اتفاقيات مع الصليبيين بعد سماعهم الانباء عن انتصاراتهم التي حققوها في شمال الشام وما ارتكبوه من مجاز في انطاكيا وما اشيع عنهم انهم ياكلون لحوم البشر وبالتالي استفاد الصليبيون من ذلك اذ لم يجدوا صعوبة في زحفهم الى بيت المقدس فضلا عن انقسام المسلمين والتنازع فيما بينهم لذا نرى ابن الاثير يقول في ذلك:"..انه عظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وايقنوا باستيلاء الفرنج على

سائر الشام لعدم التسامح له والمانع عنه فشرع اصحاب البلاد الاسلامية بالشام في الهدنة معهم فأمتنع الافرنج من الاجابة الاعلى قطيعة ياخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة الاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على اربعة الاف دينار وصالحهم على الكردي صاحب حماة على الفي دينار...."[115].

استأنفت القوات الصليبية زحفها نحو بيت المقدس فمروا بمصياف(116) في ربيع الاول/كانون الثاني 492هـ/1099 فخرج اميرها العربي وعقد معهم اتفاقية ثم اتجهوا الى بعرين[117] ومنها الى سهل البقاع[118] حيث فرح الصليبيون بما صادفوه من خيرات وفيرة[119].

فاتجة سكان تلك المنطقة الى حض الاكراد الذي يقع وسط سهل البقاع للاحتماء به فاتجه اليهم الصليبيون وحاصروهم حتى سقط الحصن في ايديهم في ربيع الاول492هـ/1098م ثم اتجهت القوات نحو عرقة وهي مدينة صغيرة تتبع امارة طرابلس فاسرع صاحبها ابو فخر الملك بن عمار بارسال رسلة لعقد اتفاقية مع الصليبيين ممثلة بريموند فقد تعهد ابن عمار بدفع الاموال لضمان سلامة مدينته لكن بعض القادة الصليبيين اشاروا على ريموند بمهاجمة عرقة كنوع من الضغط على امير طرابلس لزيادة الجزية التي تعهد بدفعها للصليبيين[120].

وهكذا استمر الجيش بمحاصرة عرفة في حين اتجه فريق اخر منهم لحصار انطرسوس[121] التابعة لولاية طرابلس فملكوها في ربيع الاول/كانون الثاني 492هـ/1099م.

ولايزال الصليبيون محاصرون لعرقة فقد استمر الحصار عليها لمدة اربعة اشهر وحاصرت قوة صليبية في نفس الوقت مدينة جبله[122] وهي ايضا تابعه لطرابلس لكن الحصار انتهى بعدها عقد اتفاق مع والي المدينة يدفع بمقتضاها الجزية للصليبيين عادت هذه القوة الصليبية بعد عقد الاتفاقات مع امراء المسلمين لمساعدة اخوانهم المحاصرين بعرفه لكنها قد استعصبت عليهم بسبب بأس اهلها لذا قرر الصليبيون تركها والتوجه الى بيت المقدس[123].

وهنا ادرك الفاطميون وسطعت شمس الحقيقة امام اعينهم بان بيت المقدس هو الهدف الاساسي للصليبيين وانهم لن يقفوا عند حد الاستيلاء على انطاكيا وغيرها من المراكز في شمال الشام انما اخذوا يتوغلون في جنوب الشام صوب فلسطين عندئذ ارسل الفاطميون الى الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين يسألونه عما اذا كانت تلك الحركة تعمل لحسابه قنصل الامبراطور وانكر معرفته او ارتباطه بها[124].

لذا قام الافضل بارسال سفارة الى الصليبيين وصلتهم قرب طرابلس تحمل الهدايا النفيسة والاموال الكثيرة لكل واحد من زعمائهم وقد عرضت السفارة مشروعاً على الصليبيين يتضمن عدول الصليبيين عن محاولة شق طريقهم الى الاراضي الفاطمية ويحتفظ الصليبيون بالاراضي التي امتلكوها بالفعل على ان يتركوا جنوب فلسطين وبيت المقدس للفاطميين وان يسمح للاخيرين بل وتقدم القوات الفاطمية كل سبل الامان لهم لزياره الاماكن المقدسة واداء طقوسهم الدينية بشرط ان لايزيد عددهم في كل زيارة عن مائتي او ثلثمائة حاج وان لاتتعدى مدة اقامتهم عن شهر ولايدخلوها مسلحين[125].

رفض الصليبيون العرض الفاطمي اعتدادا منهم بقوتهم اذا اعتبره اهانة لهم وانهم عزموا على تحقيق الشعار الذي جمعوا بسببه هذه الجموع الهائلة وهو تحرير القبر المقدس وتخليصه من ايدي المسلمين بل وطلبوا من سفراء الدولة الفاطمية مغادرة المعسكر الصليبين بعدما ابلغوهم ان الجيش الصليبي سيتوجه الى القدس بكامل اسلحته[126].

يتضح مما تقدم ان الجيش الصليبي قد غير من سياسته بعد ان حقق الانتصارات في انطاكيا فهنا نرى كيف ان الصليبيين قد رفضوا عرض الدولة الفاطمية بسرعة بينما ماطلوا في العرض الاول الذي قدمته الدولة الفاطمية اليهم عندما كانوا محاصرين لانطاكيا اذ استمرت المفاوضات بين الطرفين لمدة عام تقريبا كان هدفهم تجنب اثارة عداء الفاطميين قبل الحصول على انطاكيا.

ان رفض الصليبيين للعرض الفاطمي معناة بداية الصدام المسلح بين الطرفين من اجل بيت المقدس. اذن كان على الافضل وهو رجل ماهر في ميادين السياسة والادارة ان يكون ايضا قديرا في ميدان الحرب وان يتخذ كافة الاستعدادات

اللازمة ليحول دون تقدم الصليبيين الى بيت المقدس لكنه لم يفعل ذلك فبعد ان استعاد الفاطميون املاكهم الموجودة في بلاد الشام من ايدي السلاجقة لم يتركوا فيها قوات كافية لتدعيم نفوذهم والمحافظة على مكاسبهم في تلك الجهات وذلك باستثناء حامية بيت المقدس من ناحية وبعض المراكز الساحلية التي ظل الاسطول الفاطمي قادرا على امدادها بالرجال والزاد من ناحية اخرى[127] هذه من جهة ومن جهة اخرى فقد انشغل الافضل بالاحداث الداخلية التي كانت تعصف بالخلافة الفاطمية والمتمثلة باقصاء نزار بن الخليفة المستنصر بالله عن الحكم وتوليه اخيه الاصغر المستعلي بدلا عنه وقيام نزار وبمساندة اهل الاسكندرية بالثورة على الافضل والخليفة الجديد.

لكن الافضل استطاع قتل نزار واعوانه[128]. ان هذة الاضطرابات التي واجهت الافضل لم تنتهي الا بعد ان دخل الصليبيون بيت المقدس[129].

يقول ابن تغري بردي في هذا الصدد:"...ولم ينهض الافضل باخراج عساكر مصر ويتعجب فيقول وما ادري ما كان السبب في عدم اخراجه مع قدرته على المال والرجال"[130].

واصلت القوات الصليبية زحفها نحو طرابلس فطلب اميرها الامان منهم بعدما دفع مبلغاً من المال وعدد من الجياد والدواب وامدهم بالأدلاء لارشادهم الى الحدود الفاطمية على نهر الكلب في رجب/مايس من عام 492هـ/1099م ثم اتجهت القوات الى بيروت فبادر سكانها الى تقديم الهدايا والاموال للصليبيين وسمحوا لهم باجتياز اراضيهم بشرط الا ينزلوا بهم الضرر وقدموا لهم الادلاء ايضا وصلت القوات الصليبية الى صيدا فهاجمتها رجال الحامية هنالك مما اضطرهم الى التحرك بسرعة فساروا الى عكا[131] فاحتذى حاكمها حذو امير بيروت من قبل فقدم لهم الاموال والهدايا ثم ساروا الى حيفا[132] ملتزمين طريق الساحل حتى وصل الى قيسارية[133] وتابعوا مسيرهم الى الرملة[134] فوجدوا ان اهلها قد هجروها فدخلوها[135] وفي الرملة عقدوا مجلسا يناقشون فيه مشاكل هامة اهمها خطة الهجوم على بيت المقدس فقد راى بعض الزعماء تأجيل الزحف الى فصل الصيف وراى اخرون مهاجمة العدو الحقيقي في مصر وفريق ثالث راى ضرورة الزحف مباشرة على بيت المقدس والاستقرار والتحصن به ومنه يبدا التوسع نحو اراضي الدولة العربية الاسلامية[136].

وصلت القوات الصليبية الى اسوار بيت المقدس في شعبان/ حزيران من عام492هـ/1099م ووجدوا ان طول مدة الحصار ليس في صالحهم اذ كانوا يعانون من نقص في المؤن والماء الى جانب حرارة الجو لذا قرروا اقتحام اسوار المدينة والتوغل الى داخلها بعد حصار لها دام اربعين يوما فقد دخلوها في شهر رمضان/تموز من عام 494هـ/1099م.

احدثت تلك القوات الغارية مذبحة مروعة في المدينة فقد قتلوا في المسجد الاقصى على ما يزيد عن سبعين الفا منهم جماعة كثيرة من المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم وممن فارقوا الاوطان وجاءوا الى ذلك الموضع الشريف[137] يقول ابي العبري وهو مؤرخ غير مسلم:"...ولبث الفرنج في البلد اسبوعا يقتلون فيه المسلمين وقتلوا في المسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفا..."[138].

اما ابن تغري بردي فاشار الى ذلك قائلا:((...وهرب الناس الى الصخرة والاقصى واجتمعوا بها فهجموا عليهم وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبوا النساء...))[139].

ان احتلال بيت المقدس من قبل الصليبيين لم يكن بالعمل السهل فقد واجهوا مقاومة شديدة من قبل والي الفاطميين على بيت المقدس افتخار الدولة والحاشية التي كانت معه فقد اشار المؤرخون الى قيام هذا الوالي بالدفاع عن مدينة بيت المقدس بالقوات التي كانت بين يديه من العرب والسودان فقد حرص على توفير المؤن الكافية لحاميته الموجودة والى سكان المدينة ما يكفيهم اذا طال امد الحصار كما قام بافساد مياة الابار والينابيع التى بخارج المدينة حتى لايستفاد الصليبيون منها كما عمل على اخفاء الابل والمواشي والمحاصيل وكافة المواد الغذائية في الكهوف والمغارات فضلا عن اهتمامه بتدعيم الابراج وتقوية التحصينات والتاكد من سلامة الاسوار كما قام باخراج كافة النصارى من المدينة المقدسة وانزلهم بظاهرها خوفا من الخيانة كما عمل على حفر خندق حول اسوار المدينة وفي نفس الوقت ارسل الى مصر يطلب النجدة العاجلة[140].

لكن ذلك لم يكن كافيا لدفع الخطر عن المدينة المقدسة فسقطت بايدي الغزاة بعدما قاوم واليها الفاطمي وسكانها اشد مقاومة اذهلت الصليبيون ان هذا الوالي وطائفة من جندة قد نجوا من وحشية الصليبيين بعدما احتموا بمحراب داود حيث بذل لهم الفرنج الامان وسمحوا لهم بالخروج الى عسقلان(141).

استقرت الامارة الصليبية الناشئة في بيت المقدس واصبحت الخطة التالية امامها هي الاستيلاء على بقية مدن فلسطين خاصة الساحلية منها وذلك لكي يحصل الصليبيون على نوعا من الاتصال المباشر بوطنهم الام في غرب اوربا ولتامين احتياجاتهم من مؤن ومعدات تاتي اليهم من هنالك(142).

ان سقوط بيت المقدس في ايدي الصليبيين لم يعن استقرار الامور نهائيا لهم ورضاء الجبهة الاسلامية بهذا الامتهان فقد حملت الدولة الفاطمية راية الجهاد ضدهم خاصة وان الاملاك التي استولى عليها الصليبيون كانت املاكا فاطمية فقد اثبتت احداث التاريخ سوء تقديرهم للامور واحسوا ان الدائرة اصبحت عليهم بعد نجاح الصليبيون في هزيمة السلاجقة فقد وصلت الاخبار من الشام الى مصر بسقوط بيت المقدس لذا فالخلافة الفاطمية لا يمكن لها ان تقف مكتوفة الايدي امام هذه الاخبار(143).

فبعد ان تمكن الافضل من القضاء على نزار واعوانه واستتبت الامر له ولخليفته المستعلى بالله تفرغ للقاء الصليبيين فقد اعد في رمضان/تموز من عام492هـ/1099م حملة عسكرية بقيادته للتوجه الى بيت المقدس(144) فضلا عن ذلك جهز اسطولا ضخما قد حمله بالالات الحربية اللازمة لحصار بيت المقدس وحملة ايضا بالمواد الغذائية وقد توجه بنفسه الى عسقلان(145) عندها سمع جودفزي بذلك ارسل الى تانكرد الذي كان بنابلس(146) وامرة بالتوجه الى السهل الساحلي للتعرف على اخبار هذه الحملة فستطاع الاخير وهو في الرحلة ان يلقي القبض على بعض الكشافين الفاطميين واستطاع ان يحصل منهم على معلومات عن هذه الحملة من حيث الاعداد والاسلحة والاستعدادت الفاطمية لكنه ايضا حصل على معلومة في غاية الخطورة الا وهي ان الافضل لاينوي مهاجمة بيت المقدس الا بعد وصول الاسطول الفاطمي لكي يمده بالمؤن اللازمة(147).

يشير أين الاثير الى ان الافضل عندما وصل الى عسقلان ارسل الى الصليبيين ينكر عليهم ما اقترفوة من اعمال وحشية ويتهددهم(148).

يتضح مما تقدم ان الافضل عندما وصل الى عسقلان لم يبدا بالهجوم لانه كان يراوغ الى ان تصل اليه الامدادات لكن هذا الرجل لم يكن رجلا قديرا في امور الحرب مثلما كان في امور السياسة والادارة(149) فقد اضاع وقتا ثمينا في انتظار وصول الامدادات اليه مما اتاح للصليبين الاستعداد للقاءة وامتلاكهم زمام الامور(150).

حشده حودفرى بناءا على المعلومات التي زودها به تانكر جيشا كبيرا قاده بنفسه في شهر شوال/اب من عام 492هـ/ 1099م من بيت المقدس التي لم يبق فيها الا حامية صغيرة وعدد من النساء والمرضى وبعض القساوسة الذي كانوا يقيمون الصلوات ويطلبون النصر لقواتهم(151).

احتشد الصليبيون في بيتا(152) وواصلوا زحفهم مباشرة الى سهل اسدود الذي يقع بين جوبية وعسقلان حيث بدوا ينظمون صفوفهم ثم قرروا الهجوم على الجيش الفاطمي الذي لم يكن يتوقع ان الجيش الصليبي على مقربه منه فلم تبدي القوات الفاطمية الا مقاومة ضعيفة جدا فقد كان لعنصر المباغته اثره في تشتت شملها وعبثا حاول الافضل ان يشد من ازر جنده ولكن فرسان الصليبيين استطاعوا ان يخترقوا صفوف الجيش الفاطمي واستطاع بعض قادتهم كتانكرد وروبرت النورمندي من الوصول الى قلب الجيش الفاطمي حيث وصلا الى الجانب الذي كان يقاتل فيه الافضل واستولوا على لوائه(153) فتشتت الجيش الفاطمي وهرب الافضل مع من بقي من جيشه الى عسقلان ومنها الى مصر وقد لجا بعض افراد الجيش الفاطمي الى شجر الجميز فاحرق الصليبيون بعض الشجر فهلك من احتمى به ثم واصلت القوات الصليبية بملاحقة من بقي من الجيش الفاطمي فوقعت بهم قتلا واسر من بقي منهم (154).

من الواضح ان النصر المعنوي والادبي الذي حققه الصليبيون في عسقلان فاق الكثير من الغنائم المادية التي غنموها ذلك ان انتصارهم في عسقلان قضى على هيبة الفاطميين في الشام فقنعوا في مصر يشاهدون مدن فلسطين وهي تتساقط واحد تلو الاخرى بيد الصليبيين ونتيجة للضغط الصليبي المتواصل على ارسوف فقدت ارسل اهلها سفارة عاجله الى الافضل يطبلون منه النجدة فارسل الاخير اليهم قوة قوامها ثلثمانة جندي لم تلبث ان وقعت هذه القوة في كمين نصبه الصليبيون لها في جمادي الاول/اذار من عام 493هـ/1100م مما جعل اهل ارسوف يؤمنون بعدم جدوى الحماية الفاطمية وانه لا مفر من الدخول في التبعية للصليبيين فقد تم الاتفاق بينهم وبين جودفرى على دفع الجزية وتسليمه مفاتيح المدينة وقد حذت كل من من عسقلان وقيسارية وعكا حذو ارسوف فعرضت على الصليبيين دفع الجزية والتي قد قدرت بنحو خمسة الاف بيزانت سنويا مقابل الهدنة[155].

على ان استكانة الفاطميين والجمود الذي انتابهم عقب سقوط بيت المقدس لم يستمر طويلا فقد قام الوزير الافضل بارسال ثلاث حملات كبيرة لملاقاة الصليبيين الاولى كانت في رجب/مايس عام 494هـ /1101م بقيادة سعد الدولة الطواشي احد مماليك الافضل[156] هدفت هذه الحملة استرداد بيت المقدس مستغلة غياب ملك بيت المقدس بلدوين عندما علم بنبأ وصول تلك الحملة عاد مسرعاً بقواته واتجه الى الرملة لكن قائد الحملة الفاطمية سعد الطواشي عندما علم بنبأ وصول القوات الصليبية ارتد الى عسقلان املاً في وصول الامدادات له فقصى الجيش الفاطمي عدة اشهر في عسقلان دون أي عمل مجزي مما اعطى فرصة للصليبين للاستعداد ووضع الخطط العسكرية اللازمة لمواجهة الجيش او القوة الفاطمية[157] وصلت الامدادت الى سعد الطواشي من مصر علماً ان هذه الامدادات قد علم بها بلدوين الاول اذ وقعت رسالة بيده في ذي القعدة/اب من عام 494هـ/1101م علم فيها ان هنالك امدادات فاطمية جديدة جاءت الى سعد الطواشي وانهم مستعدون للمسير الى بيت المقدس[158].

بلغت عدد قوات الجيش الفاطمي احد عشر الفاً من الفرسان وواحد وعشرين الف راجل[159] اما القوات الصليبية فقد بلغ عددها الف فارس وعشرة الاف راجل[160] تحرك سعد الدولة بقواته ببطئ شديد حتى لاقى الصليبيون بين الرملة ويافا كان النصر حليف القوات الفاطمية فقد حصدت القوات الفاطمية القوات الصليبية وقتل قائدها بيرفولد كما دحرت القوات الفاطمية قوات الجليل التي جاءت لمعونة الصليبيين[161] لكن الجيش الفاطمي قد ارتكب خطا ادى الى قلب موازين القوى وغدا منهزما بعد ان كان منتصرا فبعد ان اطمأنت القوات الفاطمية على النصر تحرك قلب الجيش الفاطمي عن موضعه بحثاً عن الغنائم فداهمتهم قوات بلدوين وبعد قتال قصير ولوا الادبار وامتد الذعر الى ميمنتهم ففروا هاربين فتابعتهم القوات الصليبية حتى اسوار عسقلان وبقي سعد الدولة في نفر من جنده فحمل الصليبيون عليه فكبا به فرسه فسقط على الارض ومات وتم النصر للصليبيين وقد قتل الصليبيون من المسلمين عددا كبيرا بعدها عاد بلدوين الى بيت المقدس وهو محمل بالغنائم والاسلاب[162].

لم يصبر الافضل على الهزيمة التي حلت بجيوشه على ايدي الصليبيين فامر باعداد حملة عسكرية كبيرة من العرب والسودان قد بلغ تعدادها بعشرين الف راجل تحت قيادة ولده شرف المعالي وكان ذلك في شعبان/مايس من عام 495هـ/1002م احتشد هذا الجيش في عسقلان ثم اتخذ طريقة الى الرملة وسارمعة الاسطول في البحر[163].

اما ملك بيت المقدس بلدوين فقد خرج في بيت المقدس ومعه خمسائة فارس[164] واتجه الى الرملة حيث فوجئوا بالجيش الفاطمي امامه في موضع يسمى بيازور قرب الرملة[165].

وبالتالي اصبح الرجوع متعذرا عليهم فباشر الصليبيون بالهجوم على الجيش الفاطمي لكن الاخيرين اطبقوا على الصليبيين فنهارت صفوف بلدوين ولجأ هو ومن بقي من جندة الى حض صغير بالرملة فحاصرهم الفاطميون ولم ينقذهم من الهجوم المباشر الا حلول الظلام وعند الصباح هاجم الفاطميون اسوار مدينة الرملة وكدسوا الواحا من الخشب حول البرج الذي لجا اليه بلدوين فقاموا باشعال النيران فمن لم يمت حرقاً لم يسلم من الاسر[166].

وقد شار ابن الاثير إلى ان بلدوين قد القى بنفسه في الحشيش فلما ابتعد المسلمون عنه خرج منه واتجه الى يافا قائلا:" لما ارى بلدوين شدة الامر خاف القتل والاسر القى نفسه في الحشيش واختفى فيه فلما ابتعد المسلمون عنه خرج منه الى الرملة ونزل شرف المعالي على قصر بالرملة وبه سبعمائة من اعيان الفرنج وفيهم الملك بلدوين الذي استطاع الخروج متخفيا الى يافا..."[167]

اما ابن القلانسي فيذكر ان بلدوين اختفى في اجمة قصب وحين تبع احرقت هذه الاجمة ولحقت النار ببعض جسده ونجا منهاا... [168].

اما وليم الصوري فيشير الى ان هنالك رجل اعرابي كان بلدوين قد اظهر لزوجته المروة في اول غارة قام بها بعد تولية عرش مملكة بيت المقدس على بلاد ما وراء نهر الاردن قام بتحذيره بضرورة ترك الحصن لان الفاطميون سوف يبدون الهجوم على الحصن عند بزوخ الفجر فقد عمل ذلك الاعرابي من باب رد الجميل للملك فهرب بلدوين مع ثلاثة من اتباعه وسائسه وبعض القواد[169].

واصل الفاطميون مع قائدهم شرف المعالي القتال لمدة خمسة عشر يوما فيذكر ابن ميسر ان مجموع ما قتله الفاطميون من الصليبيين كان بحدود اربعمائة وارسل الى مصر بحدود ثلثمائة اسير وقيل تسعمائة[170].

اختلف اصحاب شرف المعالي فيما بينهم أي الطرق يتوجهون اليها لاتمام النصر على الصليبيين فرى البعض التوجه الى بيت المقدس مباشرة لامتلاكه وراى اخرون التوجه الى يافا لامتلاكها فبينما هم على هذا الاختلاف وصلت للصليبين امدادات ضخمة عن طريق البحر فقد وصل اسطول انكليزي مؤلف من مائتي سفينة تقل الالف من الحجاج الانكليز والفرنسيين والالمان رسى على ميناء يافا فاستطاع هذا الاسطول فك الحصار المفروض من قبل الفاطميين على مدينة يافا[171] كما ان بلدوين ملك بيت المقدس استنجد بتانكرد وبلدوين دي بورج امير الرها يحثهما على ارسال نجدات برية فأجاباه الى ذلك فستطاعت تلك القوة البرية ان توقع بالفاطميين المحاصرين لمدينة يافا من ناحية البر الخسائر ففر الجيش الفاطمي الى عسقلان وعاد شرف المعالي الى مصر[172].

يتضح مما تقدم ان الفاطميين قد ضيعوا الفرصة لاسترداد بيت المقدس من الغزاة الصليبيين باختلافهم حول الطرق التي يتوجهون اليها لاتمام النصر على الصليبيين فلو كانت كتيبة فاطمية واحدة من المرابطة في عسقلان ان تتوجة مباشرة عقب معركة الرملة لاستطاعت ان تسرد بيت المقدس.

يروي ابن الاثير ان الوزير الافضل عندما سمع بهزيمة ابنه شرف المعالي قام بارسال حملتين احداهما برية تالفت من اربعة الاف فارس تحت قيادة المملوك تاج العجم والاخرى بحرية برئاسة القاضي ابن قادوس[173] بهدف منازلة يافا فنزل تاج العجم على عسقلان يذكر سعيد عبد الفتاح عاشور ان الشيء الذي كان يفتقدة الفاطميين عندئذ لم يكن كثرة الرجال ولا العتاد انما كانوا يفتقدون الى روح التعاون والنظام واحكام الخطط العسكرية فقد رفض تاج العجم معاونة ابن قادوس مما ادى الى فشل التعاون بطريقة فعالة بين القوات البرية والاسطول رغم وصول الامدادات اليهما[174].

فعندما علم الافضل بما وصلت اليه الامور بين تاج العجم والقاضي أبن قادوس امر بالقبض على تاج العجم وارسل رجلاً لقب بجمال الملك فولاة عسقلان وجعله قائدا للعساكر الفاطمية البرية بالشام لكن الصليبين استطاعوا الانتصار عليه بعدما وصلت اليهم الامدادات من اخوانهم في وسط هذه الازمة طلب الافضل من صاحب دمشق شمس الملوك دقاق المساعدة لكن الاخير اعتذر عن ذلك ولم يحضر(175) بينما يرى ابن القلانسي الى قيامه بأرسال الامدادات لكن هنالك اسباب منعته من الحضور بنفسه قائلا:((...كتب الافضل في استدعاء المعونة على الجهاد ونصره العباد والبلاد بانفاذ العسكر الدمشقي فاجيب الى ذلك وعاقت عن مسيره اسباب حدثت وصوادف صدفت...))[176].

يتضح مما تقدم مدى الخلاف الذي كان بين حكام دمشق وحكام مصر بسبب الخلاف المذهبي.

ان هذه الاشباكات بين الفاطميين والصليبيين كشفت عن حقيقة امر الدولة الفاطمية ومدى انحلال اوضاعها الامر الذي حمل الصليبيون على ان يطمعوا في الاستيلاء على بقية الساحل الشامي وما به من موانئ فاطمية مثل عسقلان

وعكا وصور وبيروت وكلها كانت تابعة للفاطميين فلو بقيت تلك الموانئ بايدهم لاستطاعوا طعن مملكة بيت المقدس عن طريق قطع الشريان الذي يربطها بالغرب الاوربي[177].

جـ.موقفها من سقوط المدن الساحلية:

الواقع ان سقوط بعض المدن الساحلية في ايدي الصليبيين لم يكن بسبب تهاون الفاطميين لان الخلافة الفاطمية لم تالو جهدا في توفير الاموال والمعدات والرجال وارسال الحملات الى الشام وقد استطاعت بعض هذه الحملات الحاق الهزائم بالصليبيين وخاصة ما حدث في عامي 495-496هـ/1002-1103م.

ولكن نقول ان سقوط تلك المدن الساحلية كانت بسبب التمزق الذي اصاب الدول والامارات الاسلامية في ذلك الوقت وانعدام وجود أي تعاون اسلامي بل على العكس وجدت بعض الامارات الاسلامية في الوجود الصليبي محافظة على املاكها واستقلاليتها فضلا عن سرعة وصول الامدادت الجديدة للصليبيين من الغرب الاوربي من جهة ومن المدن الايطالية من جهة اخرى[178].

اما عن الوزير الافضل فان الهزائم التي مني بها جيشه لم تثنيه عن مواصلة جهاده للصليبيين والعمل على استرداد بيت المقدس والمدن والثغور التي استولى عليها الغراة في بلاد الشام غير ان اعداد حملة جديدة سوف نستغرق من الافضل وقتا طويلا وفعلا استطاع في صيف عام 498هـ/1104م ان يجمع جيشا كبيرا انفق عليه اموالاً جمة واعطى القيادة لابنة سناء الملك حسين[179] وفي الوقت نفسه استعد الاسطول الفاطمي لمساندة الجيش من ناحية البحر وقد استفاد الفاطميون من التجارب السابقة وعملوا على تناسي الخصومة مع امراء دمشق فطلب الافضل المساعدة من امير دمشق ظهير الدين اتابك طغتكين والذي الت اليه السلطة بعد وفاة دقاق عام 498هـ/1104م فاستجاب طغتكين لنداء الفاطميين وارسل اليهم احد رجاله ويدعى اصبهيد صباور ومعه الف وثلثمائة فارس[180] لانه لايستطيع الحضور بنفسه لانشغالة بمحاصرة بصرى[181] وقد اشارابن القلانسي الى ذلك قائلا:((استصوب المسير الى المعسكر المصري...))[182].

وهكذا تحركت القوات الفاطمية ووصلت الى ظاهر عسقلان عام 498هـ/1105م وقد انضمت اليها عساكر دمشق كما تحرك الاسطول الفاطمي لمساندة الحملة البرية[183].

ما ان علم بلدوين الاول ملك بيت المقدس بالتحركات الاسلامية حتى جهز جيشا قوامه خمسمائة فارس والفين من المشاة فضلا عن اعداد من البدو وقد انضم اليه الامير الدمشقي ارتاش بن تاج الدولة الذي كان يطالب بالحكم لان طغتكين اتابك اقصاه عنها وولى ابن اخي ارتاش ويدعى دقاق وكان طفلا حتى يبقى طغتكين فارضا سيطرته على دمشق مما حدا بارتاش الى اللجوء الى بلدوين يطلب منه المعونة لاسترداد حكم دمشق[184].

دارت معركة بين القوات الفاطمية الدمشقية المشتركة وبين الصليبيين عند الرملة في الرابع عشر في ذي الحجة/ اب من عام 498هـ/1105م ورغم ما ابلته القوات الاسلامية من بلاء حسنا في القتال الا ان النصر كان للصليبيين. فأنسحبت القوات الدمشقية وارتد الفاطميون الى عسقلان بعد ان لحقت بهم خسائر كثيرة ولقي حاكم عسقلان جمال الملك مصرعة ووقع في اسر الصليبيين القائدان السابقان لعكا وارسوف. ان هذا لا يعني ان الصليبيين حصدوا النصر بسهولة فقد تكبدو خسائر كثيرة لدرجة ان جيش بلدوين لم يستطيع ان يتعقب الفاطميين بعد ان استبيح معسكرهم وعاد شرف الملك حسين قائد الحملة الى مصر اما الاسطول الفاطمي فقد تعرض في اثناء عودته الى القاهرة الى عاصفة ادت الى قذف عشرين سفينة من الاسطول على الموانئ الصليبية فاسرها الصليبيون[185].

عد المؤرخون ان حملة الفاطميين عام 498هـ/1105م تعد اخر محاولة جادة قاموا بها ضد الصليبيين على الرغم من قيام الفاطميين بتهديد الصليبيين بين الحين والاخر ولكن في نطاق ضيق وكانت هذه الهجمات تنبعث دائما من مدينة عسقلان التي اعاد الفاطميون تقوية حصونها[186].

فمن بين تلك الغارات الصغيرة التي شنتها القوات الفاطمية على بعض المراكز الصليبية في صفر/ايلول عام 500هـ/1106م فقد استغلت القوات الفاطمية المتمركزة في عسقلان انصراف بلدوين الاول بقواته الى جهة الخليل فقام

حوالي بضعه الاف من الفرسان الفاطميين بهجوم مفاجا على معسكر للحجاج الصليبيين في يافا وارسوف فتم ابادتهم جميعا وقد قاوم حاكم يافا الصليبيين لكنه لم يستطع صد الهجوم الفاطمي فقد قتل منهم اربعين رجلا خارج ابواب يافا ثم واصل الفاطميون زحفهم نحو قلعة ارنولد والتي لم ينته بلدوين بعد من تشييدها فاستسلم العاملون بها للقوات الفاطمية ولقوا مصرعهم جميعا عدا قائدهم جيفري الذي ابقاه الفاطميون اسيرا عندهم حتى يحصلوا على فدية كبيرة من المال لقاء اطلاق سراحة لكن بلدوين عندما سمع بنبا هذه الحملة عاد فورا الى بيت المقدس فانسحبت القوات الفاطمية من المواجهة الى عسقلان[187].

واغار الفاطميون عام 501هـ/1107م على الخليل ووصلوا عام 503هـ/1110م الى اسوار بيت المقدس لكنهم انسحبوا لقلة عددهم وضعف تسليحهم وكررت القوات الفاطمية المرابطة في عسقلان خلال العشر سنوات التالية غارات ممائلة بين الحين والاخر مما ازعجت حياة النزلاء والحجاج الصليبيين في السهل الساحلي[188].

ان بلدوين قد ادرك مدى ضعف الجيش الفاطمي في تصديه للقوات الصليبية لذا قرر الاستيلاء على بقية المدن التي لاتزال بايدي الفاطميين وهي عسقلان جنوبا وصور وصيدا وبيروت شمالا فقد استطاع بلدوين عام 499هـ/1106 ان يحاصر صيدا لكن حاكمها بذل له الاموال لقاء بقاء المدينة تنعم بالسلام والامن فوافق بلدوين لانه كان بحاجة الى المال[189].

حاول بلدوين في عام 502هـ/1108م الاستيلاء على صيدا فقام بمحاصرتها براً وبحراً يساندة اسطول على متنه ملاحون مغامرون من مدن ايطالية مختلفة عندها استنجد صاحب صيدا باتابك دمشق طغتكين لمساعدته في فك الحصار عن صيدا مقابل مبلغ ثلاثون الف دينار لكن الفاطميين قد سبقوا طغتكين فارسلوا باسطول فاطمي سار مسرعا من مصر ووصل الى صيدا فاستطاع الفاطميون ان يلحقوا الهزيمة بالسفن الايطالية خارج ميناء صيدا الامر الذي دفع بلدوين الى فك الحصار عن صيدا[190].

لكن طغتكين قد ارسل نجدته والتي تقدر بحوالي خمسة عشر الف مقاتل لكن صاحب صيدا منعهم من دخول المدينة ولم يفي بالتزاماته بمنح صاحب دمشق المبلغ المتفق عليه مما حدا بطغتكين ان يهددهم باستدعاء بلدوين لمهاجتهم فرضخ صاحب صيدا للامر ودفع حوالي ثلث المبلغ المتفق عليه[191].

حاصر الصليبون صيدا في عام 504هـ/1110م ولم يستطيع الاسطول الفاطمي المقيم على مدينة صور انقاذها لذا خرج قاضي المدينة وجماعة من شيوخها وطلبوا الامان فامنهم بلدوين على اموالهم وانفسهم والعسكر الذي عندهم بعد حصار دام سبع واربعين يوما[192].

ب–طرابلس:

شاءت الظروف ان تلعب الدولة الفاطمية دورا في تاريخ مدينة طرابلس فطرابلس تلك المدينة المشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا[193] والتي عدت من اكبر المدن الشامية المطلة على البحر المتوسط ظلت تحت السيادة الفاطمية الى ان استقل بها ابو طالب بن عمار قاض طرابلس ثم اقام بعدة ابن اخية ابو الحسن بن عمار الذي تلقب بجلال الملك هذا الاقليم قد اشتهر بثرواته الوفيرة[194].

لذا كانت مطمع للصليبيين وخاصة ريموند الصنجيلي الذي ظل يحس بمرارة قاسية بعد ان نجح زملائة بلدوين البولوني في اقامة امارة الرها وبوهيموند النورمندي في اقامة امارة انطاكيا جودفري دي بويوند في اقامة امارة بيت المقدس في حين ظل هو بلا ارض ومن هنا بدات تراوده فكرة اقامة امارة له في طرابلس[195].

فقد اشار المؤرخون ان ريموند الصنجيلي قد حاصر طرابلس في ربيع الاول/شباط من عام 491هـ/1098 لكنه صولح على مال حملوه اليه فتركها وتوجيه الى انطرطوس فملكها وهي من اعمال طرابلس[196] وبعد سقوط بيت المقدس بايدي الصليبيين عام 492هـ/1098م عاد ريموند ثانية لحصارها لكنه لم يوفق في الحصول على مبتغاه لحصانتها ومنعه اسوارها[197].

وكرر ريموند المحاولة مرة ثالثة في عام 497هـ/1103م بمحاصرة هذه المدينة المنيعة مستعينا بأسطول جنوي وصل الى ميناء اللاذقية كان على متنه عدد كبير من الحجاج والاجناد والتجار لكنهم ايضا لم يحصلوا على ما جاءوا لاجله فتركوها ورحلوا الى ثغر جبيل وملكوة بالامان[198].

ثم عاد ريموند الصنجيلي لمحاصرة طرابلس اواخر عام 498هـ/1104م فعجز عن امتلاكها عندها شيد صنجيل بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا عرف باسم حصن صنجيل فخرج ابن عمار بقواته واستطاع ان بحرق الربض يذكر ابن تغري بردي ان الصنجيلي مات متاثرا بسقوط بعض السقوف المحترقة ودفن في بيت المقدس[199].

بعد موت ريموند الصنجيلي تولى امر محاصرة طرابلس ابن خاله وليم جوردان[200] ونتيجة لشدة الحصار على المدينة ساءت احوالها الاقتصادية فارتفت الاسعار وعدمت الاقوات وفشلت كل المحاولات لتخفيف الحصار على المدينة لذا خرج ابن عمار طالبا النجدة من سقمان بن ارتق الامير الاسبق لبيت المقدس والذي اصبح صاحب حصن كيفا[201] بدياربكر وقد لبى الاخير نداء ابن عمار لكن المنية قد وافته وهو في الطريف[202].

لذا التجا ابن عمار طالبا المعونة من الخليفة العباس المستظهر (487-512هـ/1094-1118م) ومن السلطان محمد السلجوقي لكنه لم يحصل على أية معونة منهما فعاد الى دمشق طالب المعونة من اتابك دمشق طغتكين[203] عندما ضاق الحال باهل طرابلس عند غياب ابن عمار فاستنجد اهل طرابلس بالافضل بن بدر الجمالي يعرضون عليه تسلمه المدينة ان هو دافع عنها فاستجاب الافضل للنداء وارسل اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب واليا عليها وذلك في عام 501هـ/1108م ومعه ما يحتاجونة من المؤن وبذلك عادت طرابلس الى حضيرة الدولة الفاطمية من جديد[204] لكن الصليبيين عادوا فشددوا الحصار عليها اكثر من ذي قبل خاصة بعد ان جاءتهم امدادات برية وبحرية من الغرب الاوربي فجهز الافضل اسطولا بحريا لنجدة طرابلس لكن هذا لم يبحر فورا انما ظل منتظراً في موانئ الدلتا بسبب الاختلاف بين قيادته[205] فبعد ان صدرت له الاوامر بالتحرك صادفته رياح مضادة عرقلة سيرة واخيرا ابحر الاسطول الفاطمي نحو طرابلس وعند وصوله وجد ان الصليبيين قد ملكوها بعدما ساءت احوال اهل طرابلس وياسوا في وصول الاسطول الفاطمي لنجدتهم[206] فقد استطاع الصليبيون اقتحام اسوار المدينة بابراجهم فكان دخولهم الى هذه المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة/تموز من عام 502هـ/1109م [207] وبذلك ولدت امارة صليبية جديدة في الشرق بعد الرها وانطاكيا وبيت المقدس الا وهي امارة طرابلس الصليبية[208].

يتضح مما تقدم ان الفاطميين قد تباطوا ولم يتخذوا اجراءات سريعة لامداد طرابلس بالرجال والسلاح لكي تقاوم لذا نرى ابن تغري بردي يحمل الفاطميين تبعية سقوط طرابلس ويلومهم لعدم الاكتراث بمحاربة الصليبيين ثم يحدد مظاهر عدم الاكتراث بالدفاع عن طرابلس الى ثلاث امور اولها تقاعسهم عن السير في هذه المدة الطويلة وثانيهما ضعف العسكر الذي ارسل مع اسطول مصر فلو كان عسكر الاسطول قوي لدفع الفرنج من البحر عن البلد وثالثهما عدم خروج الافضل على راس العساكر المصرية كما كان يفعل والده بدر الجمالي[209].

اشار ابن القلانسي الى نهوض الفاطميين للدفاع عن بيروت عندما هاجمها الصليبيون عام 503هـ/110م فقد زحف نحو بيروت بلدوين الاول ملك بيت المقدس وبرتراند ابن ريموند الضجيلي وصاحب تلك باشر[210] فقد استطاعوا احكام الحصار على هذه المدينة من ناحية البر والبحر عندما سمع الافضل بنبأ تلك الحملة الصليبية جهز تسع عشرة سفينة حربية مزودة بالمون والسلاح والرجال فاستطاعت تلك السفن الفاطمية الاشباك مع الاسطول الصليبي المحاصر لبيروت وحصلت على بعض القطع البحرية الصليبية فقويت نفوس اهل بيروت واستطاع المحاصرون ان يكبدوا الصليبيين خسائر كثيرة(210) لكن الامدادات جاءت الى الصليبيين مكونة من اربعين سفينة مشحونة بالمقاتلين فاشتبك الطرفان فقتل من المسلمين اعداد كثيرة فقد قتل مقدم الاسطول الفاطمي فايقن اهل بيروت انهم هالكون فهجم الصليبيين على بيروت وملوكها عنوة في عام 503هـ/1110م[211] لكن الفاطميين ارسلوا الى بيروت قوة برية يقدر تعدادها بثلثمائة فارس وفي اثناء سيرها في بلاد الاردن اعترضتها قوة صليبية استطاعت ان تشتت تلك القوات الى الجبال فهلك منهم من هلك[213].

يتضح مما تقدم ان الفاطميين لم يتوانوا في الدفاع عن الثغور ولم يالوا جهدا في قتال الصليبيين بكل الطرق والوسائل سواء كانت برية او بحرية.

اما عسقلان فقد كانت تمثل مفتاح فلسطين بالنسبة للفاطميين ومفتاح مصر بالنسبة للصليبيين فبعد ان عاد بلدوين من حصاره لمدينة صيدا قصد عسقلان فخرج اليه والي الفاطمين شمس الخلافة الذي خلع طاعة الفاطميين فهادن بلدوين واهدى اليه اموالاً وعروضا[214].

فجهز الافضل جيشا ارسله الى عسقلان مع والي جديد بدلا من شمس الخلافة لكن الاخير رفض ان يفتح ابواب المدينة واظهر عصيانه على الافضل وارسل يطلب المعونة من بلدوين كما قام باخراج العساكر الفاطمية من عسقلان خوفا منهم فلما علم الافضل لذلك خاف ان يسلم شمس الخلافة عسقلان الى الصليبيين فارسل الافضل اليه من يطيب خاطرة واقرة على عمله واعاد اليه اقطاعاته في مصر والتي كان الافضل قد صادرها وعادت حملة الافضل على ادراجها الى القاهرة لكن اهل عسقلان كرهوا شمس الخلافة فوثبوا عليه واردوه قتلا في اخر عام 504هـ/1111م فاستعمل الافضل بدل عنه والياً جديدا وهكذا بقيت عسقلان من ضمن املاك الدولة الفاطمية[215].

-صور:

اما مدينة صور التي كانت تخضع لسلطان الفاطميين اسميا فقد استعصت على بلدوين الاول مثلما استعصت عليه عسقلان لانها كانت دائمة الاعتماد على الخلافة الفاطمية التي كانت تمدها بالامدادات الكثيرة لكن بلدوين قرر ان يحاصر المدينة وكان ذلك في جمادي الاولى/تشرين الثاني من عام 504هـ/1111م مستغلا انشغال الدولة الفاطمية بما الم بها من وباء حصد بحدود ستين الف نفس حتى ان المواريث[216] قد عجزت عن احصاء من مات[217] لقد قاوم اهل صور مقاومة شديدة في رد حصار الصليبيين لكنهم كانوا بحاجة الى المعونة فطلبوا من حاكم دمشق طغتكين المعونة فاستجاب لهم فبادر الاخير لارسال جماعة من الاتراك مزودين بالاسلحة اللازمة يزيد عددهم عن المائتين فارس وصلت الى صور وفي نفس الوقت وصلت اعداد كبيرة من المتطوعين من صور وجبيل ودمشق وكذلك شرع طغتكين في انفاذ قوة اخرى[218] عندما علم بلدوين بذلك امر بقطع اشجار النخيل لعمل بيوت للاقامة فيها خارج اسوار المدينة ثم بادر بالزحف عليها ومقاتلتها مرات عديدة في كل مرة يعود بلدوين خاسرا وقيل ان اهل صور رشقوا محاصريهم في يوم واحد بعشرين الف سهم[219] وعاد بلدوين مرة اخرى حصار المدينة فخرج اتابك طغتكين على راس قواته وخيم في بانياس وبث سراياه في المدن الصليبية تقتل وتنهب وعلى الرغم من طول امد الحصار والذي استمر اربعة اشهر ونصف والذي لم تخلو من تدمير سفن صليبية وقتل اعداد من الطرفين واخيرا رحلوا الصليبيون عن صور في شوال/نيسان من عام 505هـ/1112م[220] تم تجهيز الصليبيون مرة اخرى في عام 506هـ/1112م لحصار صور فارسل اهل صور الى اتابك طغتكين يطلبون النجدة فارسل اميرامن قبله يدعى مسعود الذي اشتهر بالشجاعة والشهامة ومعرفة بالحروب ومكايدها وامده بعكسر وميرة [221] وعلى الرغم ان مسعود قد تولى امر صور من قبل طغتكين صاحب دمشق لكن الاخير ابقى على اعتراف المدينة بسيادة مصر فلم يغير الخطبة باسم الخلافة الفاطمية ولا السكة وكتب طغتكين الى الافضل بمصر يعلمه ان بلدوين قد جمع وحشد للنزول على صور وان اهلها استنجدوا بي لحمايتهم فبادرت بانهاص من اثق بشهامته لحمايتها ومتى ما وصل من مصر من يتولى امرها ويزود عنها ويحيمها بادرت بتسليمها اليه وسوف اخرج ونوابي عنها وفي نهاية الكتاب طلب طغتكين من الافضل انفاذ الاسطول بالغلة اليها والتقويه لها وقد اعاد الافضل الرسول بالجواب الجميل بعد ان قدم الشكر الى طغتكين[222].

بعد ان اسقرت الاحوال الداخلية في مصر عقب الوباء اقلع الاسطول الفاطمي الى صور عام 507هـ/1113م محملا بالغلال والرجال فقد تولى قيادته الامير شرف الدين بدر بن ابي الطيب فاستطاع ان ينزل شحنته بالمدينة فرخصت الاسعار واستقام الامر بها[223].

وهكذا نجت صور من حصار الصليبيين بل ان بلدوين قد اضافه تلك العلاقة الحميمة بين اتابك دمشق طغتكين ووزير مصر الافضل لذا اضظر الى مراسلة الامير مسعود والي صور يلتمس منه المهادنة والموادعة ولحسم اسباب المنازعة بين الجانبين فأجابه مسعود الى ذلك فامنت الطرق للمترددين والتجار والسفراء الواردين من جميع الاقطار[224].

يتضح مما تقدم ان ما حدث في مدينتي عسقلان وصور يدل على بداية صحوة اسلامية فقد توثقت العلاقة بين طغتكين والافضل فقد اشار ابن القلانسي الى قيام الافضل بارسال هدية الى طغتكين تتالف من الخلع الفاخرة له ولولده تاج الملوك بوري وكذلك لسيف الدولة مسعود نائب طغتكين على صور فقد ارسل لهم تلك الخلع مع مقدم الاسطول الفاطمي[225].

د–موقفها في الغزو الصليبي على مصر

ظلت هجمات الفاطميين تقلق ملك بيت المقدس بلدوين الاول فبالاضافة الى ماتم ذكره نجد ان قوة عسكرية فاطمية وخرجت من مصر عام 507هـ/1113م ووصلت الى عسقلان ومنها هاجمت بيت المقدس ثم عادت من حيث جاءت لاهتمام الصليبيين بتحصين المدينة خرجت قوة اخرى فاطمية من عسقلان عام 509هـ/115م لمهاجمة الصليبيين في يافا لكنها عادت مثل سابقتها دون ان تحقق هدفا يرجى منه[226].

لذا قرر بلدوين الاول الرد على غازات الفاطميين بالهجوم على مصر نفسها لكن عليه ان يقوم بالسيطرة اولا على الصحراء لما لها من اهمية دفاعية هدفها عزل مصر عن بقية العالم الاسلامي وقطع الطريق البري بينها وبين الشام والعراق والحجاز فبدأ بالسيطرة على وادي عربة ثم شيد حصن الشويك ليكون مركزاً يمكن الصليبيين من السيطرة عليه باجمعة وفي عام 510هـ/1116م خرج بلدوين في حملة على ايله[227] الواقعه على ساحل خليج العقبة حيث فر الاهالي من وجهه فبنى في ايلة قلعة حصينة في الطريق البري للقوافل بين مصر الشام كما شيد قلعة في جزيرة فرعون قبالة ايلة وبذلك تمكن الصليبيون من الاشراف على شبه جزيرة سيناء ولم يبق امام بلدوين الاول الا ان يهاجم الفاطميين في عقر دارهم ليشعرهم بقوته[228].

ففي عام 512هـ/1118م وبعد ان تفاوض بلدوين مع شيوخ القبائل النازلة بالصحراء قاد جيشا تعداده مائتي وستة عشر فاسا واربعمائة راجل فاحتاجت القوات الصليبية شبة جزيرة سيناء وعبر بلدوين بجيشه من العريش[229] الى ان وصل الفرما[230] فاستولى عليها وقام بكثير من اعمال السلب والنهب واحرق جامعها اما اهل الفرما فقد تركوها قبل وصول بلدوين الاول اليها فغنم الصليبيون كثير من الغنائم التي تركها اهلها[231] ثم توجه بلدوين الى مدينة تنيس[232] لكنه لم يستطيع ان يتوغل كثيرا في الاراضي المصرية لصغر حجم قواته[233].

لكن المنية قد عاجلت بلدوين الاول فقد توفي في اليوم الثالث لوصوله تنيس[234] فعادوا به اصحابة في المحرم/كانون الاول من عام 513هـ/1119م الى بيت المقدس حيث دفى هنالك لكن الافضل لم يقف مكتوف الايدي تجاه ذلك الاعتداء فبادرة بارسال جيوشه الى عسقلان واسطوله الى وصور فقد تم الاتفاق بين صاحب دمشق طغتكين وبين الافضل للقيام بعمل مشترك ضد الصليبيين اجتمع الجيش الفاطمي والدمشقي في عسقلان وكانت القيادة لطغتكين فعندما وصل الاخير الى عسقلان اخبرة قائد الجيش الفاطمي بان لدية تعليمات بالوقوف عند راى طغتكين والتصرف على ما يحكم به[235].

حاول ملك بيت المقدس بلدوين الثاني ان يفك من عرى هذا الاتفاق بين طغتكين والافضل بأن يجدد هدنته مع اتابك دمشق والتي سبق ان عقدها بلدوين الاول لكن طغتكين رفض عرضه(236)

لذا استنجد بلدوين الثاني بقوات من الامارات الصليبية وهي الرها وانطاكيا وطرابلس لمساعدته لدرء الخطر الاسلامي المتمثل باتحاد الفاطميين مع الدمشقيين فقد استجاب لبلدوين الثاني اصحابة من الامارات الصليبية المشار اليها اعلاه ظل الجيشن الاسلامي والصليبيين يواجه كل منهما الاخر لمدة ثلاثة اشهر دون ان بحرؤ أي منهما على التحرك عن موضعه ثم تفرق الجند من كلا الجانبين وعاد كل منهم الى بلاد[237].

يتضح من خلال تلك الحملات التي جهزها الافضل لمحاربة الصليبين بان الفاطميين لم يكونوا قد تقاعسوا عن درء الخطر الصليبين وانهم كانوا دائما شديدي الاحساس بالخطر الذي يهدد البلاد الاسلامية.

هـ.الحملات التي قادها الفاطميون بعد موت الوزير الافضل على الغزاة الصليبيين:

اغتيل الافضل بن بدر الجمالي في ثاني ايام عبد الفطر من عام 515هـ/1121م وقد اختلفت الاراء حول من الذي قتل الافضل فمن قائل ان الخليفة الامر باحكام الله هو الذي قتلة لتضيقه عليه ومنعه مما تميل اليه نفسه ومنافرته اياه في بعض الاوقات[238] لكن ابن ميسر قد اورد نصا يفيد بان الحشاشين[239] ربما كانوا هم من نفذ عملية الاغتيال وفيه يقول:"فلما ولى المامون[240] بلغة ان ابن الصباح والباطنية فرحوا لموت الافضل وقتله وانها قد امتدت امالهم لقتل الآمر والمأمون معاً..."[241].

فالنزارية كانت ترى ان الافضل هو الباعث على تنحية نزار عن الخلافة تولى الوزارة بعد الافضل المامون البطائحي الذي كان اقل دراية بشؤون السياسة من الافضل انتهز الفاطميون فرصه اسر بلدوين الثاني الذي وقع اسيراً في صفر/شباط من عام 517هـ/1123م على يد بلك بن بهرام الارتقي اثناء قيامه بمحاولة انقاده لاميرها جوسلين دي كورتناى حشد الفاطميون في ربيع الثاني/مايس من عام 517هـ/1123م حملة كبيرة من عسقلان اتجهت لحصار يافا في الوقت الذي خرج منها الاسطول الفاطمي لمهاجمتها من البحر[242] وكاد الفاطميين ان يحققوا النصر لولا وصول الامدادت الى الصليبيين الموجودين في يافا مما جعل القوات الفاطمية تنسحب الى يبتا في ربيع ثاني/مايس من عام 517 هـ/1123م فلحقهم الصليبيين ودارت معركة عند بيتا هزم الفاطميون وولوا الادبار فلحق بهم الصليبيون يقتلون وياسرون كل ما يصل الى ايديهم[243] فضلا عن ذلك قد انزل الاسطول البندقي هزيمة بالاسطول الفاطمي الثاني لان الاسطول الرئيس قد عاد سالما وقد غنم شينين(244) من شواني الصليبيين وبطسة كبرى[245] وتم اسر اعداد من الرجال والنساء لان النساء شاركت الرجال في الدفاع عن يافا وقد احتفل الخليفة الامر باحكام الله بعودة الاسطول الفاطمي[246] جاء دور صور لتسقط بيدي الصليبيين وصور كما هو معروف اخر ثغور الشام التابعة للفاطميين ان اغتيال الافضل عام 515هـ/1121م عمل في نهاية مدينة صور فالافضل لم يدخر وسعا في الحفاظ عليها ولم يبخل بمد يد العون والمساعدة تحت اقصى الظروف ولو قدر للافضل طول العمر لصمدت صور فترة اطوال امام الصليبيين فما كاد المأمون البطائحي يتولى امر الوزارة الفاطمية بعد اغتيال الافضل حتى اخذ يهدم ما بناه الافضل من حسن علاقة وارتباط اخوي ووحدي مع اتابك دمشق طغتكي وكان اول بادرة ينوي القيام بها ازلة نفوذ طغتكين من صور والاطاحة بالوالي الجديد مسعود رمز هذا النفوذ ووجوده يذكر ابن القلانسي انه في عام 516هـ/1122م ارسل الخلفية الآمر باحكام الله الاسطول الفاطمي مد شحنة بالعسكر والغلال والاقوات وحين الاسطول الى مصر هرع واليها سيف الدولة مسعود لاستقبال مقدم الاسطول فقام باعتقاله وعاد الاسطول ادراجة الى مصر حاملاً الامير مسعود[247].

فعندما علم الصليبيون بانصراف مسعود عن صور طمعوا بها لذا جمعوا جيشا فعندما علم والي الفاطميين الجديد على صور بذلك عرف انه لاقوة له بدفع الصليبيين لقلة ما بها من الجند والميرة فطلب المساعدة من الخليفة الآمر باحكام الله فرأى الخليفة ان يرد ولاية صور الى طغتكين فارسل اليه بذلك فملك طغتكين صور ورتب امورها[248] بارسال عدد من الجند الاتراك بحدود سبعمائة وكميات من المؤن لمواجهة الحصار المفروض على المدينة من قبل الصليبيين لكن الصليبيين ظلوا محاصرين المدينة طوال اشهر الربيع واوائل فصل الصيف مستعينين بالاسطوال البندقي استمر الصليبون بقذف اسوار المدينة بالالات التي جلبها معهم البنادقة ومن خلف اسوار المدينة تجهز المدافعون المسلمون بالالات التي ترمي المهاجمين بالحجازة والنيران واستبسل اهل صور في الدفاع عنها غير ان اعدادهم كانت قليلة لا تسمح بهجوم لرد الاعداء[249].

استنجد طغتكين بمصر فلم ينجدوة بسبب ان الاسطول الفاطمي لم يستطيع الابحار لقد تعرضت مصر عام 518هـ/1124م الى انحسار في النيل فشرمت الارض ووقع الغلاء وانعدمت الاقوات ونزع السعر واستمر الحال على ذلك

لمدة سنة وقد نسبوا ذلك من فعل إلى ملك الحبشة إلى انهم غيروا مجرى النيل وقد اوفد الآمر بأحكام الله من يتوجه الى الحبشه[250].

وهكذا لم يستطع طغتكين انقاذ صور من السقوط بأيدي الصليبيين فقد تقادمت الايام واشرف اهلها على الهلاك[251] ويذكر رنسيمان ان الفاطميين حاولوا ان يصرفوا الصليبيين عن صور بان يهاجموا بيت المقدس غير ان سكانها من المدنيين والتجار ورجال الدين بادروا للدفاع عنها فلم يخاطر الجيش الفاطمي بمهاجمتهم كما قام جيش فاطمي اخر بنهب مدينة ابلين الواقعة على مسافة بضعة اميال الى الشمال من بيت المقدس فقتلوا سكانها غير ان هذه الغارات المتفرقة لم تنقذ صور في الحصار المفروض عليها[252].

ومهما يكن فقد راسل طغتكي الصليبيون وقرر ان يسلم المدينة لهم مقابل تمكين سكانها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من اموال وغير ذلك ففتحت ابواب المدينة ودخلها الصليبيون في الثالث والعشرين من جمادي الاولى/ من عام 518هـ/1124م وبذلك سقطت احصن البلاد الشامية وامنعها[253] وهكذا تلاش نفوذ الفاطميين عن الساحل الشامي الا مدينة عسقلان فعلى الجانب الشامي كان عماد الدين زنكي[254].امير الموصل قد وجه كل همة نحو اخراج الصليبيين من الشام وقد توج عماد انتصاراته على الغزاة الصليبيين بالاستيلاء على امارة الرها الصليبية 539هـ/ 1144م[255] لكن هذا رجل قد اغتيل وهو محاصر لقلة جعبر[256] عام 541هـ/1147[257].

فتسلم ابنة نور الدين محمود راية الجهاد ضد الصليبيين واخذ يكثف جهوده لايجاد جبهة اسلامية موحدة تكون قادرة على ان تلحق بالصليبيين العديد من الهزائم كما توج نور الدين انتصاراته بضم دمشق عام 549هـ/1154م وبذلك استطاع نور الدين ان يهدد الصليبيين بالشام بالاغارة على املاكهم فيه[258].بعد ظهور خطر نور الدين محمود في شمال الشام اتخذ التوسع الصليبي اتجاه اخر وهو الاتجاة الجنوبي الغربي أي التوسع على حساب الدولة الفاطمية نفسها فكان للصليبيين من التمهيد لغزو مصر بالاستيلاء على عسقلان والتي تعد القاعدة البحرية الوحيدة التي بقيت للفاطميين بالشام فقد مهد ملك بيت المقدس بلدوين الثالث(547-558هـ/1152-1162م)[259] لغزو عسقلان بعد ترتيبات منها حربية واخرى سياسة فعلى الصعيد السياسي عمل على عقد تحالف مع امارة دمشق الذي كان يتولاها معين الدين ارنر[260] فاخير يريد ان يدفع خطر نورالدين محمود عنه الذي يريد ضم دمشق الى املاكة لتحقيق جبهة اسلامية موحدة وقد اشار ابن القلانسي الى ذلك قائلا:((....ان الدماشقه عاهدوا الفرنج ان يكونوا يدا واحدة على من يقصدهم من المسلمين....))[261] هنا امن بلدوين الثالث على ظهره من جانب امارة دمشق اما على الصعيد الحربي فقد عمل على تحصين مدينة غزة بهدم اسوارها القديمة وبنى لها سورا جديدا كما شيد بها قلعة عهد بحراستها[262] الى الدواية[263].

وهكذا مكنت الاوضاع السادة في العالم الاسلامي لبلدوين الثالث ان يوجه كل جهودة ضد الفاطميين في عسقلان وهو امن من جانب اتابكية دمشق[264].

ان الدولة الفاطمية في منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كانت في موقف لم يسمح لها بالقيام بعمل جاد ضد الصليبيين فقد كانت تحتضر نتيجة لما كانت تمر به من الاحداث الداخلية والتي ازدادت سواء منذ تولي الخليفة الظافر بدين الله 544-549هـ/1149-1154م[265] الخلافة فقد تميز عهده باشتداد النزاع بين الوزراء[266] خاصة ما حدث بين الوزيرين العادل بين السلار[267] ومنافسة ابن مصال اللكي[268] فقد حدثت مواجهة دموية ادت الى قتل ابن مصال وتولية ابن السلار الذي واصل مسيرة سابقيه من الوزراء العظام في السيطرة على امور الدولة والحجر على الخليفة فلم يكن للخليفة معه حكم [269].

يذكر اسامة بن منقذ وهو شاهد عيان على تلك الفترة ان الخليفة الطافر كان منحرفا وكان يكره وزيره ابن السلار لاستبداده بالامور فاضمر له الشر وعمل على قتله وتم له ذلك عام 548هـ/1153م لكن رغم ما كان بين الخليفة ووزيره[270] من ضغائن الا ان ذلك لم يثن الوزير العادل ابن السلار عن محاربه الصليبيين[271].

ففي عام 546هـ/1151م جهز الوزير بن السلار السفن الحربية وشحنها بالرجال والعتاد والمؤن وتوجهت الى الشام للقيام بعمل حربي ضد الصليبيين فوصلت السفن الى يافا واستطاعت ان تقتل اعداد كبير منهم وتأسر اعداد اخرى من السفن واحرقت ما عجزت عن اخذها ثم توجهت هذه الحملة الى ثغر عكا ومنها توجهت الى صيدا ثم الى بيروت واخيراً وصلت الى طرابلس فظفرت الحملة بمجموعة من الحجاج الصليبيين فقتلهم وهكذا ابلت هذه الحملة بلاءاً حسناً ولما علم نور الدين بذلك هم بقصد الصليبيين من ناحية البر مستغلا هجوم الاسطول الفاطمي في البحر لكنه كان مشغولا باصلاح امور دمشق فلو وحدت تلك الجهود بين الطرفين لاستطاعوا احراز انتصارات بارعة[271] وقد اشار ابن القلانسي الى ذلك قائلاً "ولما تقف مسيره[يقصد نور الدين] مع الاسطول لكان حصل الغرض من الفرنج وقد قدرت جملة النفقات التي انفقها ابن السلار على هذا الاسطول ثلاثمائة الف دينار[272].

عمل ابن السلار على تقوية الجيش واهتم بتحصين عسقلان وتجربة الابدال اليها[273]) فقد كلف اسامة بن منقذ للذهاب الى نور الدين محمود لعقد اتفاق معه لعمل جبهة موحدة في مواجهة الصليبيين وقد اشار اسامة ابن منقذ الى ذلك قائلا:((...قال له[يعني ابن السلار لاسامة بن منقذ] تاخذ معك مالا وتمضي اليه لينازل ويشغل الفرنج عنا لنخرج من ها هنا نخرب غزة...))[274] ودفع له ستة الاف دينار قائلا:((...ادفع بهم الى نور الدين ان نزل طبرية وان حدث له مانع فاجمع ما استطعت من الجند واطلع الى عسقلان واقم بها في قتال الفرنج...))[275].

توجه اسامة الى الشام فالتقى نور الدين الذي رفض الاستجابة لمشروع ابن السلار وقال له:((....يا فلان اهل دمشق اعداء والافرنج اعداء ما أمن منها اذا دخلت بينهما...))[276] لكنه جهزه بثمانمائة وستين فارساً سير معه الامير عين الدولة الباروني في ثلاثين فارسا فقاد ابن منقذ تلك القوات حيث تقابل مع الجيش الصليبي قرب عسقلان وبيت جبريل ظل اسامة يحاربهم لمدة اربعة اشهر لكن ابن السلار قد استدعاة الى مصر[277].

لم يهمل القدر ابن السلار لمواصلة الحرب ضد الصليبيين فقد اغتيل في 6 محرم/مايس من عام541هـ/1153[278] وخلفه على الوزارة عباس بن ابي الفتوح الصنهاجي[279]. فاستغل بلدوين الثالث تلك الاحداث وتلك الفوضى السياسية في مصر لتحقيق هدفه في الاستيلاء على عسقلان التي كانت حلم اسلافة بالاستيلاء عليها[280] فاجتمع الصليبيون في ذي القعدة/كانون الثاني عام 548هـ/1153م وحاصروا مدينة عسقلان[281] وقد اشار ابن الاثير الى ذلك قائلا:((...كان الفرنج كل سنة يقصدونها ويحاصرونها فلا يجدون من ملكها سبيلا وكان الوزراء بمصر لهم الحكم في البلاد والخلفاء معهم اسم لا معنى تحته وكان الوزراء كل سنة يرسلون اليها من الذخائر والاسلحة والاموال من يقوم بحفظها...))[282].

يشير رنسيمان ان بلدوين الثالث قد جمع من ادوات الحصار الشيء الكثير وقد سار هو بنفسه لحصار عسقلان ومعه مقدما الاسبتارية(283) والداوية بفرسانهما المختارة وكبار السادة الاقطاعيين وبطريك بيت المقدس ورؤساء اساقفة صور وقيسارية والناصره وبيت لحم وعكا وقد اضيفت الى ذلك امدادات جديدة عن طريق وصول سفن نقل حجاجا الى بيت المقدس[284]عندما علمت الدولة الفاطمية ماعزم عليه بلدوين الثالث بادرت الى ارسال اسطولا مكونا من سبعين سفينة محملة بالمؤمن والعتاد والرجال غير ان السفن الفاطمية[285] اقلعت من الميناء بعد ان افرغت مازال قأنما[286] وعندما طال امد الحصار طلب اهل عسقلان النجدة من صاحب حلب نور الدين محمود ومن صاحب دمشق مجير الدين انر فاتفقا الاثنان على النزول الى بانياس لاشغال الفرنج النازلين في عسقلان لكنه وقع خلاف بين قوات الطرفين مما اثر كل واحد منهما العودة الى بلاده وتركوا عسقلان تلقى مصيرها[287].

شدد الصليبيون الحصار على المدينة فقد استخدموا الابراج الخشبية وقد كان ارتفاعها يتجاوز اسوار المدينة الحصينةان هذه الابراج كانت تقذف الاحجار والاسياخ الملتهبة على شوارع المدينة لكن الحامية الفاطمية استطاعت اشعال النار في الابراج وقد ساعدت الرياح في قذف البرج المشتعل بالنيران الى اسوار المدينة فقد ترتب على اشتداد الحرارة ان اخذ البناء في التفتت وادى الى احداث ثغرة في السور فاستطاع اربعون فارساً من فرسان الداوية دخول المدينة لكن رجال الحامية الفاطمية استطاعوا قتل هؤلاء الاربعين وتعليق جثثهم على السور[288].

لكن الصليبيين زحفوا على المدينة وامطروها بوابل من الاحجار والمواد الملتهمة وعندها فقد اهل المدينة املهم في وصول الامدادات من مصر او دمشق او حلب اوحمص فقرر جند الحامية الاستسلام بشرط ان يبذل الصليبيون للسكان الامان عند مغادرتهم البلد بامتعهم وقبل بلدوين الثالث الشرط[289].

وهكذا رحل كثير من المسلمين من عسقلان قاصدين مصر وبدخول الصليبيين الى المدينة اتموا سيطرتهم على طول الساحل الشامي من اسكندرية شمالا حتى غزة جنوباً الامر الذي حرم الفاطميين من قاعدة بحرية كبيرة طالما استخدمتها في مهاجمة الصليبيون بل كسب الصليبيون هذا الموقع المهم الذي اصبح مصدر خطر على وادي النيل[290].

تسلم الوزارة الفاطمية طلائع بن رزريك 549-556هـ/1154-1160م[291] حاول هذا الوزير التصدي للصليبيين في بلاد الشام فقام في عام 550هـ/1155م بارسال الاسطول الفاطمي وجيشاً برياً لمحاربتهم والتصدي لهم في مدينة صور والتي كانت قد سقطت بايدي الصليبيين وتمكنت قواته من احراق بعض السفن واسر حجاباً من النصارى وعادوا الى مصر بعد ان غنموا غنائم كثيرة[292].

وفي عام 552هـ/1157م فسخت الهدنة التي عقدها مع الصليبيين في العام السابق فأخذ الوزير طلائع في اعداد العساكر وتجهيزها للاغارة مرة اخرى عليهم حيث تمكنت قواته من مهاجمة غزة وعسقلان والشريعة وبيروت والشوبك وعكا[293].

يقول المؤرخون ان هذه المحاولة كررها الوزير طلائع في عام 553هـ/1158م حيث تمكنت قواته من الوصول الى بيت المقدس مما اضطر الصليبيين الى طلب الصلح وقد بلغت كلفة نفقة اعداد هذه الحملات اكثر من مائة الف دينار[294].

رأى الوزير طلائع بن رزريك انه لا يمكنه بمفرده مواجهة الصليبيين في بيت المقدس لوحده لذا قرر التوجه الى نور الدين محمود صاحب دمشق يطلب منه توحيد جهودهما لمواجة اولئك الغزاة فارسل اسامة بن منقذ رسولاً من قبله وحمله بهدية ضمت مجموعة من الاسلحة ما قيمها ثلاثون الف دينار وسبعون الف دينار عوناً له على قتال الصليبيين[295] يذكر المقريزي ان الصليبيين عندما وصلهم ما اقدم عليه الوزير طلائع نور الدين لتوحيد الجهود لمواجتهم وقد ايقنوا ان هذا التحالف سوف يشكل خطورة عليهم لذا ارسلوا رسولاً من قبلهم إلى طلائع عام 554هـ/1159م يطلبون تحديد الهدنة ومعهم هدية الا انه رفض قبول هديتهم ورفض طلبهم بشأن الهدنةوقرر الاستمرار بمساندته لنور الدين[296].

ان اختلاف المذهب الديني بين طلائع بن رزيك الذي كان شديد التعصب له وبين نور الدين الذي كان سنياً قد حال ذلك دون تحقيق الائتلاف بينهما وبالتالي كانت هي اخر محاولات وزراء الفاطميين في مهاجمة الصليبيين فالصليبيين اخذوا بعد هذا التاريخ يهتمون بأمر مصر وصراعاتها الداخلية ثم بدأ التسابق مع نور الدين محمود للاستيلاء على مصر.

الصراع على مصر بين نور الدين محمود والصليبيين:

ترتيب على سقوط عسقلان بيد الصليبيين عام 548هـ/1153م ان اخذت سياسة كل من نور الدين محمود والصليبيين شكلاً جديدا للاستيلاء على مصر يساندها في ذلك ضعف الخلافة الفاطمية وقتداك كان من بين اسباب ضعف الخلافة[296] هو ضعف الخلفاء في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وعجزهم عن تصريف امور الدولة وابتداء عصر الوزراء العظام الذين قبضوا على مقاليد الامور دون الخلفاء وسيروا شؤون الحكم حسبما يريدون وقد وصف ابن الاثير حالة الدولة الفاطمية في تلك الفترة قائلا:((..كانت الوزارة في مصر لمن غلب والخلفاء وراء الحجاب والوزراء كالمتملكين وقل من وليها احدا بعد الافضل بحرب وقتل وما شاكل ذلك...))[297].

ومما زاد الطين بله ان اولئك الوزراء اختاروا خلفاء صغار السن مما سهل السيطرة عليهم لذا نرى بان الافصل اختار المستعلى بدلا عن نزار لكي يكون طوع بنانه[298] اما الوزير طلائع بن رزيك الذي تولى الوزراة(549-556هـ/1154-1161م) عندما اراد ان يولى رجلا مجربا بعد مقتل الخليفة الفائز بنصرالله(549-555هـ/1154-1160م)[299] لامه اصحابه واضطره الى ان يعدل عنه ويولي الخليفة العاضد لدين الله(555هـ-567هـ/1160-1171م)[300] وهو صبي لم

يتجاوز الحادي عشر من عمره[301] فيشير ابن الاثير الى ان طلائع بن رزيك قد استعرض من كان موجودا بالقصر فوقع اختياره على العاضد فاختاره لصغر سنه وعندما فرح وهلل من كان بالقصر لاختيار الخليفة قال ابن رزيك:"..كاني بهولاء الجهلة وهم يقولون ما مات الاول حتى استخلف هذا وما علموا اني كنت في ساعة استعرضهم استعراض الغنم..."[302].

زادت سيطرت واستبداد ابن رزيك في الحكم ووضع الخليفة العاضد تحت قبضته وضيق عليه وقد اشار ابن الاثير الى ذلك قائلا:((...تحكم [يقصد ابن رزيك] في الدولة التحكم العظيم واستبد بالامر والنهب وجباية الاموال اليه لصغر سن العاضد كما اخرب كثيرا من ايمانهم وفرقهم في البلاد ليأمن عدم وثوبهم عليه كما انه زوج العاضد من ابنته مما جعل عداء الحرم في القصر له واضحا...))[303].

استطاعت عمة العاضد ست القصور ان تعطي بعض الاموال الى الامراء المصريين ودعتهم الى قتله فقد تولى هذه المهمة رجل يدعى ابن الداعي فاستطاع ان يدبر مؤامرة قتلة في دهليز القصر في رمضان/اب عام 557هـ/1161م[304].

فتولى امر الوزارة ابنه رزيك ولقب بالعادل لكنة قتل بعد توليته الوزرة بخمسة عشر شهر [305] على يد حاكم الصعيد شاور بن مجير السعدي[306] ولم تزل امور شاور مستقرة في الوزارة حتى خرج عليه ابو الاشبال ضرغام بن عامر[307] صاحب الباب وكان يروم منصبة فجمع الاخير جموعاً كثيرة وتغلب على شاور واخرجه من القاهرة وقتل ولدية طي وسليمان واسر الثالث واصبح هو وزيراً للخليفة العاضد ولقب بفارس المسلمين وقيل المنصور وقتل الكثير من الامراء المصريين لتخلو له البلاد[308].

ان احول الدولة الفاطمية كانت خير شاهد على ضعفها واذا كانت الدولة الفاطمية اضعف من ان تدفع خطر اعدائها الصليبيين بالقوة فلا اقل ان تشتري مسالمتهم بالمال فقد اشار سعيد عبد الفتاح عاشور نقلاً عن بعض المؤرخين الصليبيين مثل وليم الصوري وميخائيل السرياني ان ملك بيت المقدس بلدوين الثالث كان قد هدد بغزو مصر عام 556هـ/1160م منتهزا فرصة الفوضى التي عمتها عقب مقتل الخليفة الفائز لكن الحكومة الفاطمية استطاعت ان تثنيه عن محاولته مقابل تعهدها بدفع جزية سنوية مقدراها مائة وستين الف دينار[309] ومهما يكن من امر فان ملك بيت المقدس الجديد عموري الاول اتخذ من مسألة عدم دفع الجزية ومقدارها مائة وستون الف دينار ذريعة لغزو مصر مستغلاً بذلك الظروف الصعبة التي تمر بها مصر بسبب ضعف الخلافة الفاطمية وكثرة المشاكل الداخلية والصراع على الوزارة[310] وفعلا جهز حملة للمسير الى مصر في ذي القعدة/تشرين الاول من عام 558هـ/1163م فاجتاز برزخ السويس ثم ضرب حصاره على مدينة الفرما وحينما كان موسم الفضيان استطاع ضرغام وزير الدولة الفاطمية ان يحطم السدود والجسور مستغلا فيضان النيل وسيحان المياة في الاراضي فأجبر عموري الاول على الانسحاب الى فلسطين[311] يذكر سعيد عبد الفتاح عاشور ان تلك الحملة الاستطلاعية التي قام بها عموري الاول على الرغم من فشلها لكنها لم تخل من فائدة بالنسبة له وللصليبيين يكفي انهم اطلعوا عملياً على مدى ضعف مصر وعظم ثروتها وسهولة الاستيلاء عليها مما جعل عموري يستعد لغزوة كبرى تمكنه من وضع يده على مصر[312].

من جانب اخر ان محاولة عموري الاول لغزو مصر قد اثارت مخاوف نور الدين محمود وكشفت عن نيات الصليبيين في امتلاك وادي النيل وادرك نور الدين ان الجبهة الاسلامية التي بداها والده عماد الدين لا يمكن ان تكتمل حلقتها الا باخضاع مصر لنفوذه[313].

وقد جاءت الفرصة سانحة لنور الدين عندما استنجد به الوزير شاور وزيرالعاضد والذي خلعة ضرغام عن الوزراة لاعادته الى مكانه في كرسي الوزارة والتخلص من ضرغام مقابل ان يدفع شاور لنور الدين ثلث ايرادات مصر وان يدين له بالولاء[314] اما ضرغام الذي لم تكن سيرته محمودة بين الناس وقد عانى المصريون من ظلمة وكثرت مصادراته لاموال التجار والزراع واصحاب الحرف وعاث في هذه البلاد فساداً ادرك خطأه عندما علم باتفاق شاور ونور الدين في عدم اتفاقه مع ملك بيت المقدس عموري الاول وسارع الى عقد حلف معه ليخلصه من نور الدين شاور وبالمقابل تصبح مصر تابعه للصليبيين[315].

وقيل ان يتمكن عموري من المسير الى مصر وصلت قوات نور الدين محمود بقيادة اسد الدين شيركوه[316] ومعه ابن اخية صلاح الدين الايوبي في جمادي الثانية/نيسان من عام 559هـ/1164م هذه الحملة سميت بالحملة النووية الاولى على مصر فقد استطاعت هذه الحملة ان تؤدي واجبها على احسن ما يرام واعادة شاور الى الوزارة واوقعت الهزيمة بضرغام[317] فقد استطاعت عساكرا الشام ومعهم شاور بن مجير السعدي ان تلتقي بالقوات الفاطمية بقيادة ناصر الدين اخو ضرغام عند مدينة بلبيس اذ دارت معركة بين الطرفين انهزمت قوات ناصر الدين وارتدت الى القاهرة وتقدمت القوات الشامية بقيادة شيركوه اليها اذا استمرت الحرب بين الطرفين عدة ايام تمكن شاور من الاستيلاء على الفسطاط بينما ضرغام كان يحتل القصر الخلافي بالقاهرة فحتاج الى المال لتمويل جنده فأخذ باخراج اموال اليتامى المودعة في صندوقهم مما جعل الناس ينفضون من حوله كما امتنع الخليفة العاضد والجيش عن مساندتة فتقلصت عدد قواته وقرب ضريح السيدة نفسية كبا به حصانه فالقه على الارض وسرعان ما قطع رأسه وطيف به في الطرقات وسط الفرحة بهذا النصر وهكذا انتهت هذه الامور باعادة شاور الى منصبه كوزير للدولة الفاطمية[318] وضاعت جهود الصليبيين فانهم لم يتمكنوا من انقاذ ضرغام لان قوات نور الدين محمود قد سبقتهم لكن شاور لم يفي بالتزاماته الى نور الدين بل ارسل الى شيركوه وقواته المعسكرة في ظاهر القاهرة يامرهم بالعودة الى الشام لكن شيركوه رفض العودة وطلب الى شاور تنفيذ ما كان من اتفاق فلم يجبه فارسل شيركوه الى ابن اخيه صلاح الدين الايوبي ليتسلم مدينة بلبيس ويتحكم في البلاد الشرقية[219] عند تسلم قوات شيركو مدينة بلبيس لم يجد شاور بدا الا الاستنجاد بملك بيت المقدس عموري الاول لانقاذه من ذلك الوضع مقابل دفع مبلغا له قدر بالف دينار عن كل مرحلة[320] من المراحل من بيت المقدس الى مصر والتي تبلغ سبع وعشرين مرحلة فضلا عن اعطاء كل فارس من الفرسان المرافقين للحملة هدايا وان يتكفل شاور بنفقات الحملة[321].

لبى ملك بيت المقدس عموري الاول نداء شاور واسرع بالمسير مستغلا قدوم جمع كبير قادم من الغرب الاوربي للحج ووصل عموري مصر واجتمعت هذه القوات مع قوات شاور على حصار مدينة بلبيس وبها اسد الدين شيركوه وقد نجح الاخير على مقاومة الحصار على الرغم من قلة الاقوات وضعف تحصين المدنية فقد استمر الحصار لمدة ثلاث اشهر واخيرا اتفق الطرفان النوري والصليبي الصلح والخروج من مصر[322].

فالبنسبة للطرف الصليبي قد قبل الخروج من مصر بعدما وصلته الاخبار بقيام نور الدين محمود بمحاصرة حارم وتملكها ثم وصلت قواته الى بانياس اذ قامت بقتل اعداداً من الصليبيين واسر بعض زعمائهم مثل بوهيموند الثالث امير انطاكيا وريموند كونت امير طرابلس وابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج وقسطنطين كولمان القائد البيزنطي فقد كانت تلك الانباء كافية لعودة عموري الى بيت المقدس وترك مصر[323] اما اسد الدين فقد قبل الخروج من مصر وذلك لقلة الاقوات في بلبيس وعجزه عن مقاومة الصليبيين[324] فضلا عن ذلك انه لم ترد له الانباء بما فعلة نور الدين بالصليبيين بالساحل وقد اشار ابن الاثير الى ذلك قائلا:((...ان من الاسباب التي جعلت اسد الدين يقبل الصلح انه كان لايعلم بما فعلة نور الدين بالفرنج بالساحل...))[325].

ان خروج الجيشين النوري والصليبي من مصر يعد نصراً لشاور لكنه نصراً مؤقتاً فيرى حسن حبشي ان شاور لو كان بعيد النظر لادرك ان كلا الجيشين خرجا من مصر مضطراً وانهما سوف يلتمسان الاسباب للعودة مرة اخرى[326] اما على بيومي فيرى ان شاور لم يكن راغباً بالقضاء على اسد الدين شيركوه وجيشه خوفا على نفسه من الصليبيين[327] وترى الباحثة الطيار ان استجابة نور الدين لشاور لم يكن اساسها نصرة اللاجئ المستنجد او اعادة الوزير المخلوع انما اساسها في رغبة نور الدين في الكشف عن احوال مصر لضمها الى املاكه واسقاط الدولة الفاطمية او لان لنور الدين غرضان من تسير حملته هو قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه مستصرخاً والثاني انه اراد الاستعلام عن احوال مصر فأنه كان قد بلغه انها ضعيفة من جهة الجند واحوالها في غاية الانحلال فقصد كشف الحق في مسيرته اليها. ونرى ايضاً ان استجابة عموري الاول لطلب شاور ليتسنى له التدخل في شؤون مصر وقد تم السيطرة عليها ليتسنى له فيما بعد القضاء على نور الدين الذي كان يتزعم حركة الجهاد ضد الوجود الصليبي في المنطقة[328].

عادت مصر لحكم شاور مرة ثانية غير انه اساء التصرف فقد وصف ابو شامة شاور بعد خروج القوات النورية والصليبية قائلاً "...فقد تكشفت صفحاته واحرقت لفحاته واغرقت جرحاته وعضته الدهروعضه وسلمت له الهموم عوضاً عن الراحة... "[329] فقد اشتدت الانتفاضات الداخلية عليه في مصر ومنها انتفاضة يحيى بن الخياط وهو احد انصار الوزير طلائع بن رزيك والذي قام يطلب الوزارة لنفسه ثم تلى ذلك ثورات بني لواته[330] ومن حالفهم من العرب واكثر من ذلك كله ما بلغه من اعداد اسد الدين شيركوه لغزو مصر مرة اخرى [331]

يذكر بعض المؤرخين ان شيركوه وصلاح الدين عند عودتهما من مصر وبعد ان تعرفا على احوالها تطلعاً الى السيطرة عليها فكانا يلحان على نور الدين بأخضاع مصر لزعامته وضمها الى الوحدة المقاتلة [332] ويذكر ابن شداد ان شيركوه بعد عودته من مصر اقام بالشام مدبراً لامره مفكراً في كيفية الرجوع اليها وقد تحدث شيركوه عن رغبته بين الناس فوصل الخبر الى شاور فخاف على مصر من ان يملكها الاتراك وعلم ان شيركوه قد طمع في البلاد[333].

طلب شاور من عموري المساعدة لقاء مبلغ من المال فقد ذكر الحنبلي ان مقدار ذلك المال هو اربعمائة الف الف دينار مدة اقامتهم ومئة دينار لة [334]بينما يذكر المؤرخ وليم الصوري ان الاتفاق تم بين عموري الاول وشاور على ان يدفع الاخير مبلغاً قدره اربعمائة الف دينار فضلاً عن الجزية المقررة واشترط عموري ان يدفع شاور نصفها ويؤجل الباقي الى وقت اخر[335].

بين بعض المؤرخين ان الصليبيين عندما تم استصراخهم من قبل شاور اتوه على الصعب والسهل والذلول فتارة يحثهم طمعهم في ملك مصرعلى الجد والتشمير وتارة يحثهم خوفاً ان يملكها العسكر النوري فجدوا على الاسراع في المسير فالرجاء يقودهم والخوف يسوقهم [336]. اعد نور الدين حملة ثانية لارسالها الى مصر بقيادة اسد الدين شيركوه ومعه ابن اخية صلاح الدين والتي تعرف بالحملة النورية الثانية وكان ذلك في ربيع الاول/ تشرين الثاني من عام 562هـ/1166م ومعها الف فارس وجمع من الامراء الشاميين [337]لان نور الدين رأى في اتفاق شاور مع الصليبيين من شأنه ان يكسبهم قوة في مصر وبذلك يهدد مركزه بالشام ويهدد فكرة قيام جبهة اسلامية موحدة فتذرع نور الدين بما حدث من غدر شاور ورجوعه عما وقع من العهد والاتفاق معه[338].

وصل جيش شيركوه الى السويس في ربيع الاخر/كانون الاول عام 562هـ/1166م في الوقت الذي سبقه الجيش الصليبي الى القاهرة فنزل الجيش الصليبي ظاهر بلبيس وخرج اليهم شاور بعساكره واجتمع بالملك الصليبي كلهم اجتمعوا في انتظار اسد الدين شيركوه وجيشه [339]

قبل خوض المعركة مع القوات النورية اراد الصليبيون ان يكون اتفاقهم مع مصر اتفاقاً يأخذ شكلاً رسمياً خوفاً من غدر شاور على المبلغ المتفق عليه لذا ارسل عموري مندوبين من قبله هما سيد قيسارية هو واحد فرسان الدواية يدعى جغرى الى الخليفة العاضد لدين الله للتوقيع على الاتفاق ليأخذ شكله الرسمي، وصل المبعوثان الى القصر الفاطمي والتقيا بالخليفة العاضد لدين الله الذي ابتسم لهما ابتسامة الغاضب وخلع قفازة ومد يده لمصافحة الرسولين وحلف اليمين ان ينفذ المعاهدة[340].

عندما علم شيركوه باجتماع الجيش الصليبي والفاطمي عند بلبيس غير خطته فأتجه الى اطفيح[341]ومن هناك عبر نهر النيل في المراكب الى الجيزة [342]حيث عسكر فيها قبالة الفسطاط لمدة شهرين[343] في ذات الوقت فأن القوات المتحالفة الصليبية والفاطمية عسكرت على شاطىء النيل الايمن قريباً من الفسطاط وبالتالي وقف الجانبان وجهاً لوجه لا يفصلهما سوى ماء النيل[344].

شرع عموري الاول في اقامة جسر من المراكب وجذوع النخيل على نهر النيل فيما بين الجزيرة والروضه ليعبر هو وجنده الى معسكر شيركوه غير ان الاخير ادرك ما كان يهدف اليه عموري الاول فتركهم يقيمون الجسر حتى اذا توسطوا النهر اخذت القوات النورية ترميهم بالسهام والنبال فرتد الصليبيون وطال بقاء الفريقين وقلت الاقوات عند شيركوه اما

الصليبيين فكانت المؤن تأتيهم من القاهرة، وقد حاول الصليبيون عبور نهر النيل لكن عاصفة هوجاء اجبرت مراكبهم الى الالتجاء الى احد الجزر القريبة ولعلها جزيرة الوراق الواقعة جنوبي كوبري عباس الحالي [345].

انسحب اسد الدين شيركوه صوب الجنوب ملتزماً النيل الى صعيد مصر حيث وصل الى مكان يعرف باسم البابين لما احس شيركوه بتفوق الجيش الصليبي والفاطمي الذي يزيد على قواته بنحو تسعة الاف فارس اما القوات المتحالفة فقد سارعت خلف قوات شيركوه وحدثت المواجهة بين الطرفين في جمادي الاخرة/اذار عام 562هـ/1167م استمرت المعركة التي عرفت بموقعة التباين لمدة ثلاثة ايام كان النصر حليف الجيش النوري وتكبد الصليبيون الخسائر الكثيرة فقد قتل عدد كبير من خيرة فرسانهم ووقع عدد اخر في الاسر منهم هيو سيد قيسارية وكاد عموري ان يقع في الاسر [346]

وقد تعجب ابن الاثير وابو شامة من ذلك قائلين"... وكان هذا من اعجب ما يؤرخ ان الفي فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل..."[347].

ارتدت القوات المتحالفة مع شاور الى القاهرة بعد هزيمتها في موقعة البابين لتنظم صفوفها استعداداً للهجوم على القوات النورية [348]التي توجهت الى الاسكندرية فتسلمها اسد الدين شيركوه من اهلها بدون قتال[349] واستناب عليها صلاح الدين الايوبي وذهب هو الى الصعيد فملكها وبقي فيها[350].

قامت القوات المتحالفة بالهجوم على الاسكندرية فتحصن صلاح الدين وجيشه بقلاع الاسكندرية وقد شدد المتحالفون الحصار عليهم الذي دام ثلاثة اشهر واهل الاسكندرية يمدون صلاح الدين بالمؤن والاقوات ويحاربون معه نظراً لما يكنون من كراهية لشاور فقد صبروا على حصارها [351].

وعبثاً حاول شاور استمالة اهل الاسكندرية ووعدهم ان يرفع عنهم المكوس والجبايات ويقطعهم الخمس اذا سلموا له صلاح الدين فأبوا[352] فستنجد صلاح الدين بعمه اسد الدين شيركوه وهو بالصعيد فجمع الاخير جمعاً كثيراً من العرب وسار بهم نحو القاهرة وضرب عليها الحصار فخاف الصليبيون وقوات شاور من استيلاء الجيش النوري على القاهرة ثم ياتيهم من الجنوب فيصبحون في مأزق لان صلاح الدين وقواته سوف يكونون في شمالهم[353]في ذلك الوقت شدد نور الدين محمود من هجماته على الصليبيين في بلاد الشام ولهذا راسلت القوات المتحالفة شيركوه يطلبون الصلح فتم ذلك فقد كان من بنود الاتفاق على الصلح ان يقوم شاور بدفع خمسين الف دينار الى شيركوه وان يرحل الصليبيون عن مصر لكن عموري لم يرحل الا بعد ان عقد اتفاقية خاصة مع شاور نصت بنود الاتفاقية على ابقاء حامية صليبية ترابط عند القاهرة وتشرف على ابوابها وتتولى الدفاع عنها في حالة تعرضها لاي هجوم خارجي كما الزمت شاور بدفع مبلغ قدره مائتي الف دينار سنوياً[354] تم الصلح وعاد شاور بقواته الى الشام في ذي القعدة/اب عام 562هـ/1167م وتسلم شاور الاسكندرية وعادت القوات الصليبية الى مكانها ايضاً بعد ان ترك عموري جماعة من مشاهير اعيانهم وفرسانهم بالقاهرة[355].

ان عموري الاول غادرمصر عام 562هـ/1167م مضطراً فليس معنى ذلك انه تخلى عن فكرة الاستيلاء عليها فثرواتها كثيرة ومركزها في حماية كيانهم بالشام كانا لا يجعلان ملك بيت المقدس يتخلى عن فكرة الاستيلاء عليها[356] لكنه ادرك انه في حاجة الى قوة خارجية تمكنه من تحقيق حلمه الكبير في الاستيلاء على مصر لذلك اتجه الى الامبراطورية البيزنطية على رأس امبراطورها مانويل كومنين (538-576هـ/1143-1180م) فقد تقرب منه عن طريق المصاهرة فقد تزوج عموري ابنة اخ الامبراطور وتدعى ماريا كومنينا[357] ان البيزنطنيين لم يكونوا في غفلة عما كانت تعاني منه الخلافة الفاطمية والتنافس عليها من قبل نور الدين محمود والصليبيين كلاً يريد الفوز بها لذا ارسل الامبراطور مبعوثين من قبله الى بيت المقدس في عام 563هـ/1168م للاتفاق مع عموري على عمل مشترك للاستيلاء على مصر على ان تأخذ الامبراطورية جزءاً من مصر فضلاً عن انطاكيا وذلك مقابل مشاركتها في الحملة المنشودة [358]ارسل ملك بيت المقدس سفارة الى القسطنطينية للتفاوض معهم حول ذلك يرأس هذه السفارة رئيس اساقفة صور وليم الصوري وقد تم ابرام المعاهدة بين الطرفين حول اقتسام ارض مصر وقد رجعت تلك السفارة الى بيت المقدس في محرم/ايلول عام 564هـ/1168م[359].

جهز عموري جيشاً واعده واسرع للذهاب الى مصر دون انتظار القوات البيزنطية وقد وضح سعيد عبد الفتاح عاشور ان السبب في تعجيل عموري بالمسير على رأس حملة الى مصر انه كان لا يريد ان يقسم ثمرة انتصاره مع الامبراطور البيزنطي وثمة عامل اخر فقد وجد عموري نفسه مضطراً إلى الاسراع في العمل نتيجة انقلاب سياسة شاور ضد الصليبيين [360] اما ابن الاثير فيرى الى ان عموري تعرض للضغط من جانب فرسانه والامراء الذين وجدوا في مصر لقمة سائغة [361]لقد ابقت القوات الصليبية عندما رحلت عن مصرعام 562هـ/1167م ومن ضمن الاتفاق مع شاور شحنة من الصليبيين تقوم بحراسة ابواب مصر والقاهرة لكن هذه الشحنة قد ازعجت المسلمين في مصر في الوقت الذي كان الشعور الديني في العالم الاسلامي معبأ ضد الصليبيين والدعوة الى الجهاد يتردد صداها في مشارق الارض ومغارب العالم الاسلامي [362] وقد اشار ابن الاثير الى ذلك قائلاً "... تمكن الفرنج من البلاد المصرية بعد ان تسلم فرسانها ابوابها وقد حكموا على الناس حكماً جائراً وركبوهم بالاذى العظيم..."[363]فضلاً عن ذلك وجد شاور ان تلك الشحنة تشاركه في شؤون الحكم وان المبلغ المتفق على دفعه الى عموري مائة الف دينار مبلغاً كبيراً اثقل كاهل الميزانية الفاطمية لذا انقلب شاور على هذا الاتفاق وقام بالاتصال بنور الدين طالباً مساعدنه في التخلص من الحماية الصليبية ان هو استطاع الاعتماد عليه [364]

يشير بعض المؤرخين ان شاور قد تناقش مع ابنه الكامل حول تغيير سياسته ضد الصليبيين والتوجه الى نور الدين محمود وطلب من ابنه الكامل مراسلة نور الدين فراسل الكامل نور الدين وقد بين في مراسلاته مدى حبه وولاءه وطلب منه اصلاح امور البلاد وجمع الكلمة بمصر على طاعته وجمع كلمة المسلمين واعطاءه مالاً يحمله اليه كل سنة[365]ويشير ابو شامة انه تاكيداً لهذه السياسة الجديدة عرض شاور وان يتزوج ابنه الكامل من اخت صلاح الدين الايوبي ولم يتزوج الاخير باخت الكامل ابن شاور [366].

غادر عموري الاول بقواته وشارك معه ايضاً قادة الاستبارية بعد ان اغراهم مقابل المشاركة في الحملة ان يمنحهم مدينة بلبيس اذا تم له ما يريد [367] اتجهت الحملة من عسقلان الى مصر في صفر/تشرين الاول 563هـ/1168م فوصلت الى بلبيس فأغلق اهل بلبيس ابواب المدينة في وجه تلك الحملة لذا حاصرها الجيش الصليبي ثم دخلوها عنوة حيث بقي الفرنج فيها خمسة ايام قتلوا الكثير من رجالها وسبوا نسائها وارتكبوا مذابح مروعة [368] بعد هذه الايام التي قضاها عموري في بلبيس غادرها متوجهاً الى القاهرة فقد عسكرت قواته قرب بركة الحبش[369] على مقربة من الفسطاط فقد ذكر ابن الاثير ان اهل القاهرة صمموا على المقاومة حتى لا يلاقوا نفس المصير السيء الذي تعرض له اهل بلبيس[370]ظهرت قوات عموري امام اسوار الفسطاط عندها ادرك شاور عدم مقدرته على الدفاع عن الفسطاط وانها حتماً ستقع بأيدي الصليبيين فنادى في اهلها ان يتركوها ويتوجهوا الى القاهرة فقام شاور بتوزيع عشرين الف قارورة نفط وعشرة الاف مشعل فأحرقت الفسطاط في التاسع من صفر [371] يقول الحنبلي "...بقيت النار فيها اربعة وخمسين يوماً وبقيت مدة لا يسمع فيها اذان ولا يوقد فيها مصباح واحرق جانب من الجامع العتيق..."[372]

حينئذ استنجد الخليفة العاضد لدين الله بنور الدين محمود فكتب اليه يعرفه بضعف المسلمين عن دف الصليبيين وارسل مع الكتب شعور نساء القصر حتى يثير حماسته[373] فقد اشار ابن الاثير الى ذلك قائلاً "...هذه شعور نسائي في قصري يستغثن بك لتنجدهن من الفرنج..."[374].

فلبى نور الدين النداء وارسل حملتة النورية الثالثة في عام 563هـ/1168م بقيادة اسد الدين شيركوه ويذكر المؤرخون ان نور الدين كان يريد قيادة الحملة بنفسه لولا بعض الامور التي منعته من ذلك منها انه خاف على الشام من الفرنج اذا ذهب هو وترك الشام ومنها موت الامير زين الدين علي كوجك[375].

يذكر ابن واصل ان الحملة النورية قد جهزت لكنها لم تصل الى مصر بعد لذا يتوجب على شاور التحرك بسرعة حتى لا يضيع البلاد فقد اشتد الامر وعظم الخطب وضاق الحصار وضيق البوار وعلم شاور عجزه وضعفه وان البلاد ذاهبة لا محال فسلك طريق التمحل وبدأ يستخدم اسلوب الخداع[376].

يشير الحنبلي الى عقد اتفاق بين شاور والصليبيين ينص "...على ان تستلم الفرنج الف الف دينار مصرية فبعضها يأجل فقال الفرنج "... نأخذ المال نتقوى به ونعود...فجعل لهم مئة الف دينار وسألهم الرحيل[اي شاور] ليجمع لهم المال..."[377]

تحرك الجيش الصليبي الى الشمال فعسكر عند المطرية [378] فقد ظل هنالك لمدة ثمانية ايام[379] عندها عاد الخليفة العاضد الاستنجاد بنور الدين عندما علم بما دار بين شاور والصليبيين من مفاوضات وطلب منه سرعة ارسال جيشه ووعده ان يكون له ثلث خراج مصر وان يكون اسد الدين شيركوه مقيماً عنده في عسكره واقطاع لهم خارج عن الثلث الذي لنور الدين محمود[380].

تجهز شيركوه بالمسير الى مصر ومعه الف فارس من العسكر النوري وحشد من التركمان يقدر بنحو ستة الاف فارس وعدد من الامراء وقد اعطى نور الدين لاسد الدين شيركوه مائتي الف دينار غير الثياب والدواب والالات فوزع الاخير على كل فارس من العسكر عشرين دينار معونة غير محسوبة من راتبه [381].

في نفس الوقت وصل اسطول صليبي الى الشواطىء المصرية لامداد قوات الصليبيين البرية بالمؤن كذلك لفرض الحصار البحري على مصر وقد استطاع الاسطول الدخول الى فرع دمياط واستولى عليه [382]ثم حاولت تلك القوات البحرية اللحاق بالقوات البرية التي يقودها عموري الاول لكن المصريين استطاعوا سد النيل بأستخدام المراكب ومنعوا مرور ذلك الاسطول عندما سمع عموري بذلك ارسل المسؤول عن امن قصره وهو همغري صاحب تورون بان يستولي على الشاطىء بأستخدام بعض الفرسان[383]لكن قوات شيركوه قد وصلت فأنسحب الاسطول الى البحر ثم الى عسقلان وكان ذلك في ربيع الاخر/كانون الثاني عام 564هـ/1169م [384].

بمجرد وصول اخبار اقتراب حملة شيركوه من مصر خشى عموري الاول ان يصبح محصورا بين نارين نار المصريين من جهة ونار القوات النورية من جهة اخرى فقد التف حول شيركوه الاهالي بوصفه المدافع عنهم وعن الاسلام لذا اصدر اوامره الى الجنود الصليبيين بالعودة الى بلاد الشام بقول ابن الاثير:"..عائدين الى بلادهم بخفى حنين خائبين مما املوا.."[385].

دخلت جيوش المسلمين الى القاهرة في السابع عشر من شهر ربيع الاخرة/ كانون الثاني من عام 564هـ/1169م[386] واستقبلها الخليفة العاضد ومعه المصريون احسن استقبال[387] وعد ابن الاثير دخول الحملة الى مصر:((فتحاً جديدا لمصر وحفظا لسائر بلاد الشام وغيرها...[388] اما ابن واصل فقد عده:"...اجل الفتوح واعظمها...."[389].

بعد هذا الاستقبال لشيركوه وقواته والخلع التي خلعها عليه الخليفة في الايوان كان من الطبيعي ان يحقد شاور على شيركوه لذا عزم على ان يقيم دعوة لشيركوه ومن معه من الامراء وذلك ليتخلص منهم بالقبض عليهم فنهاه ابنه الكامل وقد اشار أبن الاثير الى قول الكامل لابية شاور قائلا:"..والله لئن عزمت على هذا الامر لاعرفن اسد الدين فرد شاور على ابنة قائلا:والله لئن لم افعل هذا لنقتلن جميعا فكان رد ابنه الكامل: والله لئن نقتل ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من ان نقتل وقد ملكها الافرنجفترك شاور ماكان عازما عليه..."[390] فأتجه شاور الى طريق اخر للخلاص من شيركوه الا وهو استدعاء الصليبيين لنجدتة ويقول لهم:"يكون مجيئكم الى دمياط في البر والبحر..."[391].

يذكر سبط ابن الجوزي ان اسد الدين شيركوه ارسل الى شاور يطلب منه الوفاء بوعده وبما تعهد به فاخذ شاور في التعلل والمماطلة منتظراً وصول الصليبيين الى البلاد لنجدته[392] لذا قرر شيركوه التخلص من شاور بقتله وقد عهد الى ابن اخية صلاح الدين الايوبي بهذه المهمة[393] يذكر أبو شامة ان الخليفة العاضد هو الذي امر شيركوه بقتل شاور[394] اما سبط ابن الجوزي يتذكر ان اعيان مصر ادركوا خطر شاور فاجتمعوا عند شيركوه وقالوا له:"...شاور فيه فساد العباد والبلاد وقد كاتب الافرنج وهو يكون سبب هلاك الاسلام وطالبوه بقتله[395]..."

مهما تعددت الاسباب التي ذكرت في مقتل شاور فانه بلا شك كانت سياسته سيئة للغاية كما انه اتلف كثير من اموال الدولة الفاطمية واعطاها للفرنج من اجل مطامعه الشخصية يقول عمارة اليمنى:"..لم يرب احد رجال الدولة مثلما رباهم الصالح رزيك ولا افنى اعيانهم مثل ضرغام ولا اتلف اموالهم مثل شاور..."[396].

يبدو ان الخليفة العاضد لدين الله عندما تخلص من قوة وتسلط شاور اراد ان يرد الجميل ويكافئ شيركوه على جهوده فقد عهد اليه بالوزارة الفاطمية في السابع عشر من ربيع الاخر/كانون الثاني عام 564هـ/1169م ولقبه الملك المنصور امير الجيوش[397] لم يمكث شيركوه في الوزارة الفاطمية سوى شهرين وخمسة ايام فقد توفى وفي الثاني والعشرين من شهر جمادي الاخرة وحل محله في منصب الوزارة صلاح الدين الايوبي [398] وخلع عليه الخليفة العاضد خلعه الوزارة[399]، التي كانت ثمنية للغاية ولقبه الملك الناصر وذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر جمادي الاخر/اذار من عام 564هـ/1186[400].

و-الحملات التي قادها صلاح الدين الايوبي ضد الصليبيين في ظل الخلافة الفاطمية

اصيب الصليبيون بحالة من الخوف لما ملك نواب نور الدين مصر ونقصد شيركوه ومن بعده ابن اخيه صلاح الدين فهذا وليم الصوري بصور حال الصليبيين قائلا:"...كانت سيطرة الاتراك على مصر امرا خطيرا بالنسبة للصليبيين اذا اصبح وضعهم في غاية من السوء حيث انه اذا خرج نور الدين بأسطوله الى مصر كان بامكانة ان يسد على الصليبيين منافذ المملكة[يقصد مملكة بيت المقدس] ويكون باستطاعته محاصرة المدن الساحليةعن طريق البر والبحر..."[401].

اما ابن الاثير فيصف حالهم قائلا:"..كان افرنج الساحل لما ملك اسد الدين مصر قد خافوا وايقنوا الهلاك وانهم خائفون على البيت المقدس منهم.."[402].

اما ابن واصل فيقول في نفس الصدد:"...لما ملك صلاح الدين الديار المصرية واستقرت قدمة بها واستقرت بها العناصر النورية ايقن الافرنج بالهلاك وايقنوا ان بلاد الساحل من المسلمين على شفا جرف هار..."[403].

ان سيطرة نواب نور الدين في مصر على القواعد البحرية في الاسكندرية ودمياط وغيرها من موانى الدلتا من شأنها ان تسلب الصليبيين سيادتهم البحرية وتجعل المسلمين قادرين على قطع اتصالات الصليبيين بأوربا وتهديد السفن التي تنقل الحجاج سنويا وان الصليبيين بفقدانهم لمصر يعني فقدانهم للامتيازات الاقتصادية والسياسية التي كانت متاحة لهم لان المسلمين في مصر والشام سيقومون بتطويق الامارات الصليبية بالشام[404].

لذا بادر عموري الاول الى ارسال مبعوثه البطريك هرنسيوس رئيس اساقفة قيسارية واسقف عكا وليم السابع الى ملوك غرب اوربا فقد ارسل الى لويس السابع ملك فرنسا ووليم ملك صقلية وفردريك امبراطور المانيا وهنري الثاني ملك انكلترا بل وارسل الى كل النبلاء والكونتات البارزين في الغرب لكن هذه البعثة لم تحقق هدفها اذ هبت عاصفة بعد ثلاثة ايام من اقلاعها اجبرتها على العودة[405] وقد اشار ابن الاثير الى تلك البعثة قائلا:"...وكاتبوا الافرنج الذين بصقلية والاندلس وغيرهما يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك الاتراك لمصر وانهم خائفون على البيت المقدس منهم..."[406].

في ذلك الوقت كان الغرب الاوربي منشغل بالصراع بين البابوية والامبراطورية لذا فان هذا الصراع لم يسمح بارسال حملة صليبية الى الشرق لذا لم يبق امام ملك بيت المقدس سوى طلب العون من الدولة البيزنطية[407].

رحب الامبراطور البيزنطين مانويل كومنين الذي لايزال متمسكا بالاتفاق الذي عقده من قبل مع سفارة الصوري عام 564/1169م واعد اسطولا حربياً ضخما مكوناً من مائتي سفينة مسلحة تسليحاً جيد غاردت بيزنطة في شوال/حزيران 564هـ/1169م[408] اتجه جزء من الاسطول الى ميناء صور للتشاور على الموعد الذي ستتحرك فيه باقي القوات اما معظم الاسطول فاتجه الى جزيرة قبرص وفي ميناء عكا بدأت تعد كافة الخطط اللازمة لغزو مصر بين الصليبيين والبيزنطيين اما عموري فقد جهز جيشا واغرى فرسان الاسبتارية على الاشتراك في مشروعة الكبير فقد اصدر موسوما يقضي بمنح الاسبتارية جزءاً هاماً من ايراد مصر ونسب اخرى من دخل اهم المدن المصرية مثل الفسطاط وتنيس ودمياط والمحلة والاسكندرية عندما تنجح تلك الحملة لغزو مصر[409] بعد ان اطمان عموري على شؤون مملكته اجتمع الجيشان

الصليبي والبيزنطي في عسقلان في 565هـ/1169م وقد عرض قائد الاسطول البيزنطي نقل معظم الجنود في سفنه الا ان عموري اصر على اتخاذ الطريق البري الى مصر[410].

تحرك الجيش المحتالف الصليبي البيزنطي من عسقلان الى مصر ووصلت القوات بعد تسعة ايام الى مدينة الفرما، وقد سبقه الاسطول البيزنطي وهو يعاني من نقص كبير في التموين اللازم للحملة وفي صفر/تشرين الاول 565هـ/1170م وصلت القوات المتحالفة الى مدينة دمياط وهم يحملون المنجنيقات والدبابات والآت الحصار وغير ذلك[411] سبق الجيش البري الاسطول البيزنطي في الوصول الى دمياط لان رياح قد هبت اخرت وصوله الى دمياط بعد ثلاثة ايام وعند وصوله اعاقتة تلك السلاسل الحديدة الممتدة بعرض النيل والتي قد وضعت لمنع دخول سفن الاعداء[412].

وجد صلاح الدين نفسه في موقف حرج بعد ان حصن بلبيس والقاهرة والاسكندرية ظناً منه ان الصليبيين سيتخذون نفس الطريق الذي سلكة الحملات السابقة فلما اتجهت الى دمياط راسل نور الدين محمود طالبا النجدة منه[413] فضلا عن ذلك قام حاكم دمياط شمس الخواص باغلاق مدخل الميناء بالاواصر الحديدة الثقيلة لتحول دون مرور سفن الاسطول البيزنطي والتي كانت تحاول منع وصول الامدادات الى دمياط والقادمة من القاهررة عبر نهر النيل[414] كما قام الايوبي بارسال ابن اخيه تقي الدين عمر وخاله شهاب الدين محمود الحارمي وكثير من الامراء الى دمياط بالمدد بعد المدد من العساكر والاموال والاسلحة والذخائر[415] ثم جاء المدد الى صلاح الدين من نور الدين محمود فقد زودة بالمال والرجال والاسلحة والمؤمن فضلا عن ذلك شدد نور الدين هجماته على الصليبيين في بلاد الشام وذلك ليشغلهم عن دمياط وقد نجح نور الدين في امتلاك جزء كبير من مملكة الصليبيين في فلسطين[416] اما الخليفة العاضد لدين الله فقد امد الايوبي بالمؤن والاقوات فيذكر المؤرخون قول صلاح الدين عن العاضد قائلا:"...مارايت اكرم من العاضد العبيدي فقد ارسل مدة مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الشياب وغيرها"[417].

بعد تردد طويل بين القوات الصليبية والبيزنطية بدا جيشهم يشعر بالياس والقنوط وظهر بوضوح انهم بدون مساعدة الآت ومعدات الحرب ووصول قوات صليبية جديدة لايمكنهم الاستيلاء على دمياط او صد أي هجوم اسلامي مفاجئ بدا الانقسام يسود بين القوات المتحالفة نتيجة نقص المون بين رجال الاسطول البيزنطي ولم يوفر لهم الصليبيون أي مصدر للطعام على الساحل[418].

فضلا عن ذلك فقد اجادت السماء بامطار غزيرة اغرقت جميع خيام الصليبيين فاضافت تلك الامطار عاملا جديد من عوامل القلق والانزعاج بين القوات المتحالفة[419].

فطنت قوات صلاح الايوبي واهل دمياط الى خطة ناجحة استطاعوا بها وضع حد لهذه الحملة وذلك بأخذ قارب صغير وملاءة بالخشب الجاف والقار واشعلوا فيه النيران وسيروه تجاه الاسطول البيزنطي مستفيدين من سرعة جريان النيل بسبب هبوب رياح جنوبية قوية فحملت الامواج والرياح القارب الملتهب تجاه الاسطول البيزنطي الراسي عند مصب النهر في البحر المتوسط فاشتعلت النار فيه بسرعة وقد استطاع البيزنطيين بمساعدة الصليبيين على فصل السفن عن بعضها مما قلل من ضرواة اشتعال النيران[420].

ازدادت الخلافات بين عموري وبين قائد الاسطول البيزنطي الذي كان يريد ان ينفذ الهجوم السريع على دمياط لكن عموري يرى في ذلك مغامرة تنطوي عليها اخطار شديدة قبل وصول الامدادت اليه فضلا عن ذلك ان عموري وقادته كان يساورهم الشكوك من البيزنطيين لان حماس قائد الاسطول يرجع الى رغبته بان تكون دمياط من نصيب الامبراطور البيزنطي من الغنائم حتى ان قائد الاسطول اراد مهاجمة دمياط بدون اشتراك القوات الصليبية وقيل قبل ان ينفرد قائد الاسطول لهجومه على دمياط كانت الاخبار قد وصلته بان عموري يتفاوض من اجل الصلح والانسحاب عن دمياط[421].

لم يكن امام الصليبيين سوى طلب الصلح بعد ان استطاعت القوات المدافعة عن دمياط من احراق مناجيق الصليبيين واستطاعوا نهب الآتهم وقتلوا الكثير من جنودهم[422].

قرر الصليبيون والبيزنطيين رفع حصارهما عن دمياط الذي استمر خمسون يوما حسب قول ابن الاثير يقول بينما يذكر ابن واصل واحد وخمسون يوما[323] فقد رحلت القوات عن دمياط في ربيع الاخر/كانون الاول عام 565هـ/1170م بعد ان فشلوا في حملتهم فقد حرقت مناجيقهم ونهبت الاغنام وقتل منهم خلفاً عظيم[424] اما الاسطول البيزنطي فقد غرقت الكثير من سفنة ولقى عدد كبير من بحارته مصرعهم فلم يستطع بحارته السيطرة على سفنه او التحكم فيه بسبب ما كانوا يعانون من جوع وارهاق فقد ظلت الامواج الشديدة تقذف جثث بحارته على الشواطئ عدة ايام متتالية[425].

عاد الصليبيون الى بلادهم ليجدوا نور الدين محمود قد خرب بلادهم فقد شبههم ابن الاثير بالنعامة التي خرجت تطلب قرنين فرجعت بلاد اذنين[426].

يتضح مما تقدم ان ما قدمتة الدولة الفاطمية من دعم مادي وبشري الى صلاح الدين لمواجهة القوات الصليبية والبيزنطية دليلا على ان الفاطميين لم يبخلوا بشيء في مقاومة الصليبيين والدفاع عن بلاد الاسلام حتى اخر ايامها ومن جهة اخرى فان الصليبيين والبيزنطين لم يكونوا متفقين فيما بينهم فلو سارعوا بالهجوم على دمياط حال وصولهم حيث لم يكن بها الاسكانها الجاهلين بفنون الحرب ولكن تاخر القوات المتحالفة في الهجوم عليها ساهم بشكل كبير في وصول الامدادات للمسلمين وحشدها من الجنود والذخائر الذين اصبحوا قوة تستطيع ان تصد اي هجوم صليبي بيزنطي فضلا عن ذلك عدم وفاء الامبراطور مانويل كومنين بارسال الاموال الكافية والامدادات الزائفة وبالتالي غدت وعوده وعود كاذبة وقد كانت قواته تعاني من شدة الحاجة الى الامدادات والاقوات.

قاد صلاح الدين حملات عدة ضد الصليبيين خلال فترة توليه الوزارة الفاطمية قد دعم مركزة في مصر بعد فشل الحملة البيزنطينية الصليبية ففي ربيع الاخر/كانون الاول عام 566هـ/1170 خرج صلاح الدين على راس قواته لمهاجمة قلاع الصليبيين على شواطئ فلسطين فبدأ بحصار قلعة الداروم[427] ثم حاول الاستيلاء على غزة نفسها لكن عموري قدم بمساعدة عاجلة لانقاذها وقد اشار ابن الاثير الى ذلك قائلا:"...سار صلاح الدين من مصر الى بلاد الفرنج فاغار على اعمال عسقلان والرملة وهجم على ربط غزة ونهبة واتاه ملك الفرنج في قلة من العسكر مسرعي لرده عن البلاد فقاتلهم وهزمهم وافلت ملك الفرنج بعد ان اشرف ان يؤخذ اسيرا..."[428].

ثم حاصر ابلة برا وبحرا في ربيع الاخره/كانون الاول في عام 566هـ/1170م يشير كل من ابن الاثير وابن واصل ان صلاح الدين بنى عدد كبير من السفن وحملها على ظهور الجمال عبر صحراء سيناء حتى خليج العقبة وهنالك جمع قطع المراكب والقاها في البحر فسقطت ايله في يده واقتاد رجال حاميتها الى القاهرة[429].

وهكذا اخذ الصليبيون يشعرون يوما بعد يوم بازدياد ضغط صلاح الدين عليهم وعليهم ان يوزعوا قواتهم بين الشمال لمواجهة نور الدين محمود والجنوب لمواجهة صلاح الدين[430].

سقطت الخلافة الفاطمية وعادت مصر الى حظيرة الدولة العباسية فقد قطعت خطبتها في القاهرة في ثاني جمعة من المحرم/ايلول من عام 567هـ/1171م فقد دعى للخليفة العباس المستضى[431] اما الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله فقد توفي ليلة الاثنين المصادف العاشر من محرم/ايلول من عام 567هـ/1171م وهو لايدري بقطع خطبته[432].

الاستنتاجات

اتضح مما تقدم ما يلي:

1. ان تفكك الصف الاسلامي وانشاقة قد سهل على الصليبيين مهمة الوصول الى اهدافهم فقد سقطت كثير من المدن بأيدي الصليبيين نتيجه لهذا التمزق الذي اصاب الدول والامارت الاسلامية فضلا عن انعدام وجود أي تعاون اسلامي بل على العكس وجدت بعض الامارات الاسلامية في الوجود الصليبي محافظة على املاكها واستقلاليتها.

2. ان الفاطميين لم يبخلوا بجهد ومال في سبيل نصرة الاسلام واستعادة بيت المقدس من ايدي الصليبيين بل وطردهم من بلاد الشام نهائياً بعد ان ادركوا حقيقة هذه الحركة وبعدما ادركوا اطماع الصليبيين الحقيقة فتوالت الحملات التي خرجت من مصر الى الشام لمهاجمة الصليبيين والعمل على طردهم.
3. ان الحملات التي قادها الفاطميون قد اتصفت بسوء النظام والاهمال وعدم تقدير المسؤولية لدى قواد هذه الحملات كما كان ينقصها ايضا عدم التنسيق بين قيادات الجيوش البرية والبحرية.
4. ارتكب الفاطميون اخطاء كبيرة تتمثل بعدم تركهم قوات كافية لتدعيم نفوذهم في المناطق التي تم استعادتها من السلاجقة بحيث يتسنى لهم المحافظة على تلك المكتسبات في تلك الجهات.
5. ان القوات الصليبية التي جاءت الى الارض العربية كانت تضم اعدادا لاباس بها من الامراء الذين كانت لديهم تجربة واسعة في مجال الحروب فضلا عن الاسلحة التي قدموا بها لم يكن للشرق دراية بها.
6. سرعة وصول الامدادات للصليبيين سواء من الغرب الاوربي او المدن الايطالية حيث كانت هذه الامدادت تزيدهم حماسا وتماسكا.
7. لقد لعبت الخيانة الدور الكبير في سقوط كثير من مدن الشام بايدي الصليبيين بالاضافة الى ما قدموه مسحيو الشام من خدمات للصليبيين لمعرفة الطرق والمسالك التي لم يعهدها الصليبيون من قبل فضلاً عن نقل اخبار التحركات الاسلامية مما جعل الصليبيون في استعداد دائم لصد اي هجوم اسلامي عليهم على عكس الجانب الاسلامي الذي كان يعيش في حالة في التفكك والانشقاق والحروب بسبب المطامع الشخصية.
8. ان الوجود الصليبي في بلاد الشام قد عجل في نهاية الدولة الفاطمية وسقوطها فقد ظهر التنافس واضحاً وجليا بين الصليبيين وقوات نور الدين محمود ومحاولة كل طرف السيطرة على مصر لما كانت تتمتع به من موقع وموارد اقتصادية الامر الذي ادى الى اسالة لعاب كل من الطرفين للسيطرة عليها خاصة وانها كانت تعاني من فوضى سياسة وازمات اقتصادية فقد وجد نور الدين والصليبيين ضالتهما عندما نشب النزاع بين الوزيرين شاور السعدي وضرغام العامري على منصب الوزارة وقد انتهى الامر باعلان صلاح الدين الايوبي زوال الدولة الفاطمية وموت اخر خلفاء الدولة الفاطمية وعودة مصر الى حظيرة الخلافة العباسية مرة اخرى عام 567هـ/1171م.

الهوامش والتعليقات

ساذكر هنا المعلومات كاملة عن المصدر والمرجع حين وروده اول مرة مما يبغنينا من اعداد قائمة للمصادر والمراجع

1. على امتداد قرنين من الزمان زحفت على الدولة العربية الاسلامية ثمان حملات صليبية جهزها الغرب الاوربي اربع منها اتجهت الى بلاد الشام هي الحملة الصليبية الاولى(490-493هـ/1096-1099م) بقيادة جودفري دويوبون وبلدوين ويوهيمند وريمون وتانكرد والثانية(524-544هـ/1147-1149م) بقيادة ملك المانيا كونراد وملك فرنسا لويس السابع والثالثة(585-588هـ-1189-1192م) بقيادة فريدريك باربروس امبراطور المانيا وملك انكلترا ريتشارد قلب الاسد وفليب اغسطس ملك فرنسا والسادسة(626-627هـ/1228-1229م) بقيادة فريدريك الثاني واثنان على مصر هي الخامسة(616-618هـ/1219-1221م) بقيادة ملك بيت القدس جاي دي بربان واندريا الثاني ملك المجر والسابعة(646-652هـ/1248-1254م) بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا والرابعة احتلت القسطنطينية(599-601هـ/1202-1204م) بقيادة بلدوين التاسع كونت الفلاندر اما الحملة الثامنة(666-669هـ/1267-1270م) بقيادة لويس التاسع ضد تونس وعدد من الحملات الصغيرة فلم تحل سنة واحدة من سيل المسلحين المتمردين على الدولة العربية الاسلامية، للمزيد ينظر: العابد، صالح الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة؛ مجلة المورد، العدد4-مج 16، بغداد- 1987م، ص5؛ عمارة، محمد، دراسات في الوعي بالتاريخ، دار الوحدة لا.ت، ص62.

2. The new Encyclopedia Britannica, U.S.A 1951, Vol, 6, P,771.
3. مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام، ط4، مؤسسة الخانجي، القاهرة، لا.ت، ص163؛ الطيار، هيفاء عاصم محمد، دور العراق القومي في الدفاع عن بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 2001م، ص46.
4. الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية (دراسة عن الحملة الاولى1095-1099م)، ط2، ذات السلاسل، بيروت-1988م، ص86.
5. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت-1986م، ص27، الطيار، دور العراق، ص46.
6. حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط1، القاهرة-1967م، ج4، ص243؛ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، نقلة الى العربية عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، لا.ت، ص317.
7. شلبي، احمد، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة، الاسلامية، ط3، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة-1977م، ج5، ص549؛العابد، الحروب الصليبية، ص5.
8. المرجع نفسه، ص13 هامش(5)، قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت- 1990م، ص9، 12.
9. الطيار، دور العراق، ص58؛ لامب، هارولد، شعلة الاسلام، قصة الحروب الصليبية، ترجمة محمود عبدالله يعقوب، مراجعة جمال الدين الشيال، مطبعة الارشاد، بغداد- 1967، ص2.
10. ابو بدر، شاكر احمد، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية، الجامعة اللبنانية- 1972، ص17.
11. ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، لا.ت، ص81.
12. مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، مصر-1958م، ص31؛ يوسف، جوزيف نسيم، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية- 1989م، ص30.
13. بروى، ادوار، القرون الوسطى في تاريخ حضارات العالم، ترجمة داغر واخرون، بيروت- 1965م، ج3، ص312.
14. رنيسمات، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت-1968م، ح1، ص163.
15. ابو محمد، عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان(ت:768هـ/1366م)، مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يفيد من حوادث الزمان، بيروت-1390هـ، ح3، ص158؛ جمال الدين ابو المحاسن الاتابكي(ت:874هـ/ 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة- 1929، 1972م، ح5، ص149.
16. السامرائي، خليل واخرون، تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي 132-656هـ/749-1258م، مطابع دار الكتاب والنشر، الموصل-1988م، ص261.
17. سورة ال عمران: اية 20.
18. عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ط1، القاهرة-1963م، ج1 ص29.
19. المرجع نفسه، ج1، ص37.
20. هـ-ي، سويتار، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، القاهرة- 1957م، ص14- 41.
21. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص170.
22. المرجع نفسه، ج1، ص170-171.
23. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص34-35.

24. الحميدة، سالم محمود، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد–1990م، ج1، ص48.
25. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص35؛ العدوي، ابراهيم احمد، التاريخ الاسلامي افاقه السياسية وابعادة الحضارية، القاهرة لا.ت، ص366.
26. الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، شركة النبراس وفرانكلي، بغداد–1967م، ص34.
27. الحميدة، الحروب الصليبية، ج1، ص46؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص137؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص43.
28. الحميدة، الحروب الصليبية، ج1، ص46؛عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص42–43.
29. السامرائي واخرون، تاريخ الدولة العربية الاسلامية، ص258، عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص38.
30. كوبلاند، ج.د، الاقطاع والعصور الوسطى في غرب اوربا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة –1946م، ص22.
31. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص38–40، عبدالله، راغب حامد، الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الاوربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب–1983م، ص38.
32. مقبل، فهمي توفيق محمد، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، لا.م، لا.ت ص18–19.
33. هو ابن عم السلطان ملكشاه السلجوقي كان اميرا شجاعا فتح عدة بلاد واخرها انطاكيا قتل في حربة مع تتش عام 479هـ/1086م، للمزيد ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص124.
34. هو ابو الفتح بن الب رسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب جلال الدولة توفي عام 485هـ/1092م، أبن خلكان، ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد(ت:681هـ/1282م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت.لا.ت، ج5، ص125؛ ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن عمر (ت:774هـ/1327م)، البداية والنهاية، تحقيق احمد ابو ملحم واخرون، بيروت–1987م، ج12، ص151–153.
35. مقبل، شخصية الدولة الفاطمية، ص19.
36. هو ابو المظفر ركن الدولة بن ملكشاة ولد عام 474هـ/1080م توفي عام 498هـ/1104م كانت مدة سلطنته اثنين عشر سنة، للمزيد ينظر. سبط ابن الجوزي، ابو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي(ت:654هـ/1256م)، مرآة الامان في تاريخ الاعيان، حيدر اباد الدكن– 1951م، ج8– ق1، ص13؛ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي(ت:630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، بيروت–1978م، ج8، ص223–224؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص110.
37. حول طبيعة الصراع بين اولاد ملشكاه الاربعة ينظر: ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر احمد طليمات، القاهرة– 1963، ص12؛ الكامل، ج8، ص164–165؛ امين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد–1965م، ص114–118.
38. ابو سعد تتش بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب تاج الدولة قتل على ايدي ابن اخيه بركياروق عام 488هـ/1095م، للمزيد ينظر ابن الاثير، الكامل، ج8، ص175؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص96؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص159.
39. للاطلاع على الصراع بين بركياروق وتتش ينظر ابن القلانسي، ابو يعلي حمزة(ت:550هـ/1155م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت–1908م، ص123–124، 126، 128–129؛ابن الاثير التاريخ الباهر، ص9، الكامل، ج8، ص166–167، 171–175؛ ابن العديم، ابو القاسم كمال الدين عمر (ت:660هـ/1261م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق–1968م، ج2، ص107–113، 117–119، ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت:697هـ/1297م)، مفرج الكروب في دولة بني ايوب، تحقيق جمال الدين الشيال، مصر–1953م، ج1، ص22–23.

40. هو الامير رضوان بن تتش بن الب ارسلان الملقب فخر الملوك ولد عام 445هـ/1053 ملك حلب بعده مقتل ابية تتش عام 488هـ/1095م وصف بانه عبر محمود السيرة، توفي عام 507هـ/1113م للمزيد ينظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8- ق1، ص111، ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص205.
41. هو دقاق بن تتشن بن الب ارسلان ابو المظفر لقب شمس الملوك تولى امر دمشق بعد مقتل ابية تتش عام 488هـ/1095م توفي، عام 497هـ/1103م للمزيد ينظر سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8- ق1، ص111؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ح5، ص189.
42. من اعظم مدن الاسلام بالروم، ياقوت الحموي، ياقوت عبدالله الحموي الرومي البغدادي(ت:626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لا.ت، ج4، ص415.
43. هوقلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب بلاد الروم لقي حتفه غرقا في الخابور عندما انهزمت عساكره امام جيوش جاولي سقاوة صاحب الموصل عام 500هـ/1106م فقد عثر على جثتة بعد ايام من غرقه ؛سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8-ق1، ص22؛ ابن الاثير الكامل، ح8، ص.241
44. هو سنجر شاه بن السلطان ملكشاه السلطان ابو الحارث قيل ان اسمه احمد وسمي سنجر لانه ولد بسنجار في شهر رجب عام 479هـ/1086م ونشا في منطقة الاهواز واستوطن مدينة الروم توفي عام 552هـ/1157م، ابن خلكان، وفيات، ج2، ص427-428؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص326-327.
45. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص114؛ الطيارة، دور العراق، ص42.
46. هو سكمان بن ارتق التركماني جد ملوك الارانقة وصف بكونة حازما داهية ذا راي كثير الخير توفي عام 498هـ/1104م، بن الاثير الكامل، ج8، ص227.
47. هو حسين بن ملاعب صاحب حمص وصف بكونه رجلا شجاعا باشر الحروب بنفسه قتل على يد الفداوين عام 495هـ/1101م، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8- ق1، ص30؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص1680-1690.
48. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص134؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص124.
49. ذيل تاريخ دمشق، ص134-135.
50. هو ابن الحسن بن عبدالله الصقلي الكاتب مولى المعز لدين الله ولد عام 312هـ وتوفي عام 381هـ للمزيد، ابن خلكان، وفيات، ج1، ص375-380، حسن، علي ابراهيم، تاريخ جوهر الصقلي(قائد المعز لدين الله الفاطمي)، القاهرة-1963م، ص9-17.
51. للمزيد عن فتح الفاطميين لبلاد الشام ينظر: سرور، محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين، القاهرة-1959م، ص16-17
52. سالم، سيد عبد العزيز، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي، بيروت-1970م، ص82؛عمران، محمود سعيد، الحملة الصليبية الخامسة (حملة جان دي برت على مصر 615-618هـ/1218-1221م)، الاسكندرية-1978م، ص24.
53. هو ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ثامن الخلفاء الفاطميين ولد عام 421هـ/1030م تولى الخلافة عام 427هـ/1035م، توفي 487هـ/1094م، للمزيد ينظر:المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت:845هـ/ 1441م)، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق حلمي محمد احمد، مصر-1971م، ج2، ص184-334.
54. هو ابو القاسم احمد بن المستنصر بن الظاهر الملقب بالمستعلي ولد عام 469هـ/1576م بويع بالخلافة عام 487هـ/1094م توفي 495هـ/1001م، ابن خلكان، وفيات، ج1، ص187؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2 ص152؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص140.

55. هو ابو القاسم شاهنشاه الملك الافضل بن امير الجيوش بدر الجمالي تولى الوزارة للخليفة المستنصر بالله عام 487هـ/1094م ومن بعدة لابنه المستعلي بالله قتل عام 1121/515م، ابن الصيرفي، ابو القاسم علي بن منجب (ت:542هـ/1147م)، الاشارة لمن نال الوزارة، تحقيق عبدالله مخلص، بغداد- لا.ت، ص57-59؛ ابن خلكان، وفيات، ج2، ص448-452.
56. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، هامش ص128-129، ابن حماد، ابو عبدالله محمد بن علي الصنهاجي (ت:626هـ/1228م)، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول محمد البدوي، الجزائر، لا.ت، ص27؛ ابن الاثير الكامل، ج8، ص173؛ ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت:677هـ/1278م)، اخبار، مصر، باعتناء هنري مارسية، القاهرة، 1919م، ، ج2، ص36-37؛ ابن خلكان، وفيات، ج2، ص45.
57. للاطلاع على محضر القدح في نسب الفاطميين الذي كتب في عهد الخليفة العباسي القادر بالله (381-422هـ/991-1031م) ينظر، ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت:597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دار صادر، بيروت لا.ت وج7، ص255-256، ابن الاثير، الكامل، ج6، ص125، ج7، ص267، المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المسماة بالخطط المقريزية، القاهرة لا.ت، ج1، ص349 اما المحضر الثاني والمتضمن القدح في نسب الفاطميين والذي كتب في عهد الخليفة العباسي القائم بالله (422-467هـ/1031-1075م)، ينظر، ابن الجوزي المنتظم، ج8، ص154-155، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص223؛ الخطط، ج1، ص356؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص53.
58. هوابو الحارث ارسلان بن عبدالله قائد جند الاتراك في بغداد كان من مماليك بهاء الدولة البويهي في مدينة بسا من بلاد فاس تدرج في مناصب الدولة فحظى بمكانتة رفيعة عند الخليفة القائم بامرالله العباسي حتى غدا الخليفة لايقطع امر الا بمشورته بعدها تمرد على الخليفة ودعى الى الفاطميين للمزيد ينظر: ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، بغداد، لا.ط، ج1، ص149-150؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص192.
59. مؤيد الدين الشيرازي، هبة الله(ت:470هـ/ 1077م)، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة تحقيق، محمد كامل حسين، مصر-1949م، ص182؛ ابن دحية، ابو الخطاب عمر بن الحسن الشهير بذي النسبين (ت:633هـ/1235م)؛ النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد- 1946م، ص119.
60. ذيل تاريخ دمشق، ص134-135.
61. مقبل، شخصية الدولة الفاطمية، ص21.
62. حبشي، حسن، الحرب الصليبية الاولى، القاهرة-1958م، ص31، اوربا في العصور الوسطى، القاهرة-1986م، ج1، ص434.
63. Brehier(L):Leglise et lorientau moyenege les Groisacdes, paris-1921,p,26.
64. رستم، اسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت-1955-1956م، ج2، ص126.
65. (A.A), Histore de Lempir Byzantine, paris-1932,Tom 11, P.27.
66. يوسف، جوزيف نسيم، الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية، مجلة كلية الاداب، جامعة الاسكندرية، العدد16 لعام 1958م، ص188-189.
67. زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس ساهين، موسكو- 1986م، ص34، يوسف، الدافع الشخصي، ص188-189.
68. زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص34.

William of Tyre:Ahistory of deeds don beyond thesea,tvain by Babcock.

69. من اشد دعاة الصليبيين واشدهم حماسة في نشر اراء البابا والدعوة لمحاربة المسلمين بل يعده الكثير رائد الحملة الصليبية برمتها فكرة ومشروعا، زابوروف، الصليبيون، ص50-51، سلطان، طارق فتحي، التاريخ الاسلامي في العصر العباسي(334هـ-656هـ/945-1258م)، الموصل-2006م، ج2، ص151.

70. باركر، الحروب الصليبية، ص91.

O Leary William of tyre:op-cit,Vol, 1, p.93,o Leary (S), a short history of the fatimid khalifatea,London,1923, P.254.

71. Michoud Willam:(M): histoire volume des craisades, Premiere partie (parmier volume), patis-1813- 1822, P,92-93, William of tyre:op. cit, vol, 1,p.88

72. حبشي، الحرب الصليبية الاولى، ص33، عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص150.

73. vasiliev:histore,de Lempire,Tom, 11,p,35-36.

74. باركر، الحروب الصليبية، ص92؛ قاسم، قاسم عبدة، الدوافع الاجتماعية في الحركة الصليبية، ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط، مج2، القاهرة:1983م، ص196؛ هايد، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ترجمة احمد محمد رضا، القاهرة-1985م، ج1، ص145.

75. حبشي، الحرب الصليبية الاولى، ص34، يوشع، عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبدة قاسم، القاهرة، 1981م، ص21-22.

76. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص106، العريني، السيد الباز، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج1، القاهرة-1966م، ص176.

77. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص109.

78. المرجع نفسه، ج1، ص109.

79. حمود، سوزي، الفاطميون والزنكيون والايوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي362-923هـ/ 973-1517م، دار النهضة العربية- 2010م، ص25-26؛النبراوي، فتحية، العلاقات السياسية الاسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى 1000-1300م، مطبعة وهبة، القاهرة، 1982م، ص124.

80. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص117.

81. حمود، الفاطميون، ص26.

82. الطيار، دور العراق، ص84، عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص119؛ William of Tyre: op.cit,vol,1,P.175. وللاطلاع على تفاصيل الاحداث التي يتعلق بيمين الولاء، ينظر:رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص-245-249

83. رستم، الروم، ج2، ص129، النبراوي، العلاقات، ص136-137،

Archer(T.A):The crusaden, The story of the latin kingdom of Jerusa lem, Loudon-1894,P,53-54, Fulcher of chartres:choicle of first crusade, fulcher carnotensis historia hievo solxmitane ,Tran by mar the Evelyn Mcginty, philadelphie, London, oxgord, 1941, p.26-33, Gesta francorumet Aliorum hierosolimitanorum, (ed) by Rosalid Hill, london, 1962,p,16-17.

84. حسنين، عبد المنعم، سلاجقة ايران والعراق، القاهرة، 1970م، ص104، النبراوي، العلاقات، ص.137؛ Vasiliev,op.cit, Tom,11,P.33.

85. النبراوي، العلاقات، ص137.

86. ابي القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص89، النبراوي، العلاقات، ص 129.

87. William of Tyre:op-cit, vol ,1,p.300-301.

88. حتي، فليب، تاريخ العرب مطول، بيروت، 1965م، ج2، ص754؛ الطيار، دور العراق، ص82؛ النبراوي، العلاقات، ص137-138.

89. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، طبعة بيروت-1966م، ج10، ص138، 274.

90. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص146؛ Fulcher of choic le, op- cit,p.43-44

91. هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص47.

92. حصن حصين وكوره جليلة تجاه انطاكيا وهي الان من اعمال حلب فيها اشجار كثيرة ومياة للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص205.

93. Fulcher, Gesta, p,42, fulcher:op-cit.43; Willlam of Tyre, op,cit., vol,.p,225-226.

94. قلعة تشمل على كورة في الشام قرب المعرة بينهما يوم واحد وتعد من كور حمص للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص324.

95. ذيل تاريخ دمشق، ص134.

96. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص274-276.

97. المصدر نفسه، ج10، ص257؛ Fulcher of chartres:op.cit,P.47,؛

William of tyre:op.cit,vol,1,p,256.

98. Fulcher:Gesta, P,64,Willliam of Tyre:op.cit,Vol, 1,P,275

99. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص277؛ Fulcher:op.cit.,P,51-52.

100. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص146؛ توفيق، عمر كمال، مملكة بيت المقدس الصليبية، القاهرة، 1985، ص53.

101. stevenson(W.B), The crusader in the east, Landon-1907,P,26.

102. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص156.

103. A hist of deeds done beyond, Vol,1, P.223-240, fulcher of, Gesta,p,37.

104. عاشور، الحركة الصليبية، ص156؛ Archer,op.cit., p.85.

105. عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت-1977م، ص171، عبد العاطي، عبد الغني محمود، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور الكسيوس كومنين(1081-1118 م)، القاهرة-1983م، ص154.

106. Duggan(A):the story of the crusades 1097-1291 ,Londona,1963, P.72.

107. عبد العاطي، السياسة الشرقية، ص155.

108. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص105.

109. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص135، ابن الاثير الكامل، ج10، ص105

110. عبد العاطي، السياسية الشرقية، ص165، الكناني، مصطفى حسن، العلاقات بين جنوه والفاطميين، الاسكندرية-1981م، ص158-160.

111. من المناطق التي تقع قرب دابق من الشمال للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص433.

112. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص278.

113. من المدن التي تقع بين المعرة وحلب للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص470.

114.الحركة الصليبية، ج1، ص179.

115.الكامل، ج10، ص482.

116.حصن مشهور للاسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص144.

117.بليدة بين حمص والساحل، المصدر نفسه، ج1، ص452.

118.ارض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، المصدر نفسه، ج1، ص470.

119. stevenson, op.cit, p.31.

120.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص278؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص180.

121.هي بلد من سواحل الشام وهي اخر اعمال دمشق من البلاد الساحلية واول عمل حمص، للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، 359.

122.قلعة مشهورة بساحل الشام من اعمال حلب تقع قرب اللاذقية للمزيد ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص53.

123.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص278؛ Archer, op.cit, p,81, chalandon, ؛
(F):histoire de la premiere croisade, paris,1925, p256; William of tyre;op.cit, Vol,1,p329.

124.مقبل، شخصية، ص41؛ William of tyre;Op.cit, Vol,1,P,326

125. William of tyre;op.cit, Vol,1,P,326.

126. عبد المعطي، السياسة الشرقية، ص157؛ William of tyre:op.cit, Vol,1,P,326

127.عاشور، بحوث ودراسات، ص174؛العريني، الشرق الاوسط، ج1، ص266.

128.عن ثورة نزار وكيفية تمكن الافضل من الانتصار عليه ينظر:ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص211، ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص62؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص15؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص143؛ الامين، حسن، الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، بيروت-1997م، ص86.

129.الدواداري، ابو بكر بن عبدالله بن ايبك(ت:732هـ/1331م) كنز، الدرر وجامع الغرر، ج6، (المسمى الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة-1961م، ص444، 447.

130.النجوم الزاهرة، ج5، ص147.

131.مدينة على ساحل بحر الشام من عمل الاردن، للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص143.

132.حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، المصدر نفسه، ج2، ص332.

133.بلد على ساحل بحر الشام يعد من اعمال فلسطين، المصدر نفسه، ج4، ص421.

134.مدينة عظيمة في فلسطين وكانت رباطاً للمسلمين، المصدر نفسه، ج3، ص69.

135. Fulcher:op,cit, P,62; William of tyer; op.cit, Vol, 1,p. 329-332.

136.حبشي، الحرب الصليبية، ص79-80 ؛عاشور، بحوث ودراسات، ص175.

137.ابن الاثير، الكامل، ج8، ص189.

138.ابو الفرج غريغوريوس الملطي(ت:685هـ/1286م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق انطوان صالحاني اليسوعي، بيروت- 1958، ص197.

139.ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص149. يشير المؤرخون ان الصليبيين اخذوا من قبة الصخرة نيفاً واربعين قنديلا من الفضة وغنموا منه ما لا يقع عليه احصاء، ابن الاثير الكامل، ج10، ص284؛ابو الفدا، عماد الدين

اسماعيل بن علي(ت:732هـ/1331م)، المختصر في اخبار البشر، القاهرة-1286هـ، ج3، ص210؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص149.

140. Fulcher, Gesta,P,88.

141. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص283.

142. الحريري، سيد علي، الاخبار السنية في الحروب الصليبية، القاهرة. 1329هـ، ص41.

143. حبشي، الحرب الصليبية، ص86، سرور، سياسة الفاطميين الخارجية القاهرة-1966م، ص158.

144. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص286.

145. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص137.

146. مدينة مشهورة بارض فلسطين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص248.

147. Williamof tyre:op.cit, vol,1,P,349-350.

148. الكامل، ج10، ص286.

149. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص202.

150. سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8-ق1، ص521.

151. توفيق، عمر كمال، مملكة بيت المقدس، القاهرة، 1958م، ص63.

152. يبتا اويبتي، بلدة قرب، الرملة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص428.

153. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص323؛ العريني، الشرق الاوسط، ج1، ص370-376.

154. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص137؛ ابن الاثير الكامل، ج10، ص286.

155. عاشور الحركة الصليبية، ج1، ص207

Richard(J),the latin kngdom of Jerusalem, tran,byJanet shirley, holand-1971.P,21.

156. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص325؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص152.

157. william of Tyre:op.cit, Vol,1,P.439.

158. عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص233.

159. Runciman(s),Ahistory of the crusades,combridge-1954,p.71

160. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص140.

161. William of Tyre:op.cit, vol,1,P,439-440.

162. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص364؛ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص68؛

stevenson,op-cit,p.45, William of tyre:op.cit, vol,1, P.440

163. ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص74.

164. Stevenson:op.cit,P.45.

165. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص364.

166. William of Tyre:op.cit, Vol,1,p.444.

167. الكامل، ج10، ص364.

168. ذيل تاريخ دمشق، ص141.

169. William of Tyre:op-cit, Vol,1,P,445.

170. اخبار مصر، ج2، ص74.

171. stevenson, op-cit, p.46.

172.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص365؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص235.
173.الكامل، ج10، ص366.
174.دراسات وبحوث، ص180.
175.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص365.
176.ذيل تاريخ دمشق، ص142.
177.عاشور، دراسات، ص180.
178.توفيق، مملكة بيت المقدس، ص87.
179.ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص75.
180.المصدر نفسه، ج2، ص75؛ عاشور، دراسات، ص182.
181.بصري من اعمال دمشق وهي قصبة وكورة حوران مشهورة عند العرب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص654.
182.ذيل تاريخ دمشق، ص148-149.
183. Stevenson:op-cit,p,43.
184.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص395.
185.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص149؛ ابن الاثير، الكامل، ح10، ص375؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص75؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص420.
186.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص151؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص375؛عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص240.
187.عاشور، دراسات، ص184.
188.المرجع نفسه، ص184.
189.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص162.
190.المصدر نفسه، ص162.
191.عاشور، دراسات، ص184.
192.ابن الاثير، ج10، ص479-480.
193.مدينة في سواحل بحر الشام تعد من اعمال حمص، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص5.
194.سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام، مجلة كلية الاداب- جامعة الاسكندرية، العدد16 لعام 1962م، ص52-53.
195.العبادي، احمد مختار وعبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، بيروت، 1972م، ص11.
196.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص344؛ ابن الوردي، زين الدين عمر(ت:749هـ/1348م)، تتمة المختصر في اخبار البشر، تحقيق احمد رفعت البدراوي، بيروت- 1970م، ج2، ص240.
197.سالم، طرابلس الشام، ص53.
198.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص143؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، ح2، ص25.
199.النجوم الزاهرة، ج5، ص179 ويذكر ان ابن عمار هادن الصنجيلي على ان يكون للاخير ظاهر البلد ولايقطع عنهم الميره وان يكون داخل البلد لابن عمار ثم مات صنجيل اثناء ذلك المصدر نفسه، ج5، ص179.
200. Michoud,Tom,1,p.304.
201.هي بليدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين امد وجزيرة ابن عمر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، 265.

202.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص160؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص412.
203.ذيل تاريخ دمشق، ص160.
204.ابن ميسر اخبار مصر، ج2، ص78.
205.العبادي وسالم، تاريخ البحرية الاسلامية، ص113.
206.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص475؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2، ص33-34.
207.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص163؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5 ص180.
208.زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص129.
209.النجوم الزاهرة، ج5، ص179-180.
210.قلعة حصينة وكورة واسعة في شمال حلب اهلها نصارى ارمن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص40.
211.ذيل تاريخ دمشق، ص168، ابن يحيى، صالح(عاش اواسط القرن 9هـ)، تاريخ بيروت، تحقيق الاب لويس سيخو، بيروت-1927، ص28-29؛العبادي وسالم، تاريخ الحرية الاسلامية، ص115.
212.الدواداري، كنز الدرر، ج6 ص474؛ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص28-29.
213.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص168.
214.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص479-480.
215.المصدر نفسه، ج10، ص479-481، اليافعي، مرآة الجنان، ح3، ص171.
216.هو الديوان المسؤول عن اموال كل من يموت وليس له وارث خاص به بقرابة او نكاح او ولاء او الباقي بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لم يستغرق جمع المال ولا عاصب له، القلقشندي، احمد بن علي(ت:821هـ، 147) صبح الاعشى في صناعة الانشا، مصر-لا.ت، ج3، ص532، المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص111.
217.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص181؛ الدواداري، كنز الدرر، ج6، ص576.
218.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص178؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص488.
219.المصدر نفسه، ج10، ص488.
220.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص178؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص489.
221.المصدر نفسه، ج10 ص467.
222.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص188.
223.المصدر نفسه، ص188.
224.المصدر نفسه، ص189.
225.المصدر نفسه، ص188.
226.Richard, op,cit, p,23.
227. هي مدينة بين الفسطاط ومكة على شواطئ بحر القلزم تعد من بلاد الشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص492.
228.Runciman(s):The first crusades:(ed) by setton in A hist of the crusade, New york, 1955, vol,1,P.40 saunders(J.J): Aspects of the crusdes, hondon, 1965, p.32
229.مدينة كانت اول عمل مصر ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمال، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص113.
230.مدينة على الساحل من ناحية مصر، المصدر نفسه، ج4، ص255.

231.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص543؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص171؛ ابن اياس، ابو البركات محمد بن احمد الحنفي (ت:930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، 1982م، ج1، ص221.

232.مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص262.

233.عاشور، الناصر صلاح الدين، القاهرة- 1965م، ص28.

234.ابو صالح الارمني، ابو المكارم جرجس بن مسعود(ت:605هـ/1208)، تاريخ الشيخ ابو صالح الارمني، اكسفورد- 1895م، ص73؛ الداوداري، كنز الدرر، ج6، ص480-481؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص171؛ William of tyre:op.cit, Vol,1,p.515-516

واشار المؤرخون اعلاه ان بلدوين عندما توفي في تنيس قام اصحابة بشق بطنه وصبروه ورموا باحشائة في المكان الذي نسب اليه ومازال يعرف باسم سبخة البردويل وقد اعتاد المصرين على رجمها كلما مروا بها ثم رجع الصليبيون بجثته الى بيت المقدس ودفن هنالك وكان ذلك في عام 512هـ/1118م

235.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص467، عاشور، دراسات، ص180؛ William of tyre:op.cit, vol,1,P.524

236.ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق، ص190.

237.William of tyre:op.cit Vol,1,P.524.

238.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص203؛ ابن الاثير، ج10، ص589-590، ابن الوردي، تتمه المختصر، ج2، ص57-58؛ خليل، محمد محمود، الاغتيالات السياسة في مصر في عصر الدولة الفاطمية(358-567هـ)، القاهرة-2006م، ص132-133.

239.فرقة من فرق الاسماعلية والحشاشون لها اربعة معاني 1.(اساسان) معناها القتله 2.حساسان نسبة الى رئيس الفداوية حسن الصباح.3.عساسون الذين يقضون الليالي في قلاعهم وحصونهم 4.حساسون أي ذوي حس وشعور حسين، محمد كامل، طائفة الاسماعلية تاريخها- عقائدها، القاهرة- 1959م، ص63.

240. ابو عبدالله بن فاتك المنعوت بالمامون البطائحي ولد عام 478هـ/1085م عراقي الاصل استوزة الخليفة الآمر بالاحكام الله عام 515هـ/1121م عزل عن الوزارة عام 519هـ/1125م وقتل بعد ذلك؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص69؛المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص74-77، 110.

241.اخبار مصر، ج2، ص97

242.ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص211؛ Runciman, The first crusedes, p.421

243.رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص269.

244.هي السفينة الحربية الكبيرة تسير بمائة واربعين مجدافاً، للمزيد ينظر، النخيلي، درويش، السفن الاسلامية على حروف المعجم، الاسكندرية-1974م، ص83-84.

245.هي سفن عظيمة الحجم كثيرة القلوع يصل عددها الى اربعين قلعا، المرجع نفسه، ص140.

246.العبادي وسالم، تاريخ البحرية الاسلامية، ص121-122.

247.يذكر ابن القلانسي ان مسعود عند وصوله الى القاهرة قد اكرم واحسن اليه واعيد الى دمشق، ذيل تاريخ دمشق، ص207؛ مقبل، شخصية الدولة الفاطمية، ص91-92.

248.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص621.

249.رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص271؛ William of tyre: Op,cit, Vol,1,1.p,547.

250.ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص212-221.

251.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص622.

252.تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص622.

253.ابن الاثير، الكامل، ج10، ص622.

254.هو عماد الدين بن آق سنقر بن عبدالله الملقب بالملك المنصور ويعرف باتابك زنكي بن قسيم الدولة ولد بحلب من ايام ولاية ابية عام 480هـ/1087م كان في اول امره مضافا الى آق سنقر البرسيقي المتولي لشحنة بغداد وقد ولاه البصره ولما عزل البرسيقي عن شحنة بغداد فارق عماد البصرة وقصد محمود بن محمد بن ملكشاة فاكرمة ترقت به الحال الى ان ملك الموصل عام 521هـ/1127م اغتيل وهو محاصر لقلعة جعبر عام 541هـ/1146م، ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص76-84؛ ابن خلكان، وفيات، ج2، ص327-329؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص278-279.

255.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص279؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص112؛ ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص68-69، ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص279؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص94؛ الطيار، دور العراق، ص138-141.

256.قلعة على الفرات بين بالسن والرقة بالقرب من صفين كانت تعرف قديما باسم دوسر وكان يملكها رجل يماني يقال له جعفر بن مالك، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص142.

257.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص284؛ ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص74؛ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص281-282؛ ابو شامة، الروضتين، ج1، ص42؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص99-100؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2، 65.

258.هو ابو القاسم محمود بن عماد زنكي الملقب الملك العادل والشهيد ولد عام 511هـ/1117م كان ملكا عادلا زاهداً توفي عام 569هـ/1173م، سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8- ق1، ص305؛ ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص161-175؛ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص289؛ ابن خلكان، وفيات، ج5، ص184-185؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص282.

259.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص279؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص112؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص94.

260.هو الحاكم والمدبر لدمشق اذ كان مجير الدين ابق بن محمد بوري بن طغتكين صاحب دمشق ليس له مع معين الدين ارنر تصريف كانت كافة المكاتبات للامراء والملوك تخرج باسمه توفي عام 544هـ/1149م للمزيد، سبط ابن الجوزي مراة الزمان، ج8-ق1، ص197، ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص88؛ابو شامة الروضتين، ج1، ص53.

261.ذيل تاريخ دمشق، ص309.

262.اسامة بن منقذ، مؤيد الدين ابو المظفر اسامة بن مرشد الكناني الشيزاري (ت:584هـ/1188م)، الاعتبار، تحقيق فليب حتى، بيروت-1981م، ص12، عاشور، دراسات، ص197

263.منظمة عسكرية دينية تطلق على جماعة فرسان المعبد وقدأسس هذه الجمعية (Hugh depayne) عام 1119م لحماية طريق الحجاج النصارى بين يافا والقدس ثم تحولت بعد ذلك الى منظمة عسكرية كان لرؤسائها وفرسانها شأن كبير في تاريخ الامارات الصليبية في الشام وقد عرفها بعض المؤرخين المسلمين ((بانهم قوم من الفرنج يحبسون انفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون انفسهم من النكاح وغيرة))، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص264، ابن الاثير، التاريخ الباهر، حاشية رقم 5، ص4،

king)E-J),The kinght Hospitallers of Holy and Hondou -1931, p,5, 7,33.

264.عاشور، دراسات، ص198.

265. هو ابو منصور اسماعيل بن الحافظ لقب بالظافر بامر الله ولد في مصر 527هـ/1132م تولى الخلافة عام 544هـ/1149م قتل عام 549هـ/1154م كان كثير اللهو، ابن خلكان، وفيات، ج1، ص77؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص263؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص319.

266. حول النزاع على الوزارة، ينظر: ابن الطوير القيسراني، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن(ت:617هـ/122م)، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق ايمن فؤاد سيد، فرانس ستايز، 1992م، ص56، 59، ابن الاثير، الكامل، ج9، ص361؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص146؛حسن، الفاطميون في مصر، ص294.

267. هو ابو الحسن على بن السلار الملقب بالملك الصالح سيف الاسلام وزير الخليفة الظافر بامر الله تولى الوزارة، عام 544هـ/1149م قتل عام 548هـ/1153م، ابن خلكان، وفيات، ج3، ص416-419؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص198-223.

268. هو نجم الدين ابو الفتح سليمان بن محمد بن مصال اللكي المغربي تولى الوزارة للخليفة الظافر بامر الله عام 544هـ/1149م ثار عليه ابن السلار والي الاسكندرية وقتله بعد خمسين يوما، ابن الطوير، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، ص55-56.

269. اسامة ابن منقذ، الاعتبار، ص9؛ ابن الاثير، الكامل، ج11، ص142؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص295.

270. الاعتبار، ص10-12.

271. ابن القلانسي، ذيل، تاريخ دمشق، ص315، ابو شامة، الروضتين، ج2، ص202، ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص144-0145، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص201-202.

272. اخبار مصر ج2، ص145، ابن خلكان، وفيات، ج1، ص371.

273. حرص الخلفاء الفاطميين على تجهيز القوات المرابطة في هذه المدينة كل سنة اشهر بقوة من الفرسان يختلف عددها وفقا لما يرد الدولة من معلومات عن نشاط الصليبيين ففي اوقات الهدوء تكون قوة الفرسان بها من ثلاثمائة الى اربعمائة فارس وفي اوقات الحرب يصل عدد الفرسان الى ستمائة، العريني، الشرق الاوسط، ج1، ص635.

274. الاعتبار، ص12.

275. المصدر نفسه، ص12.

276. المصدر نفسه، ص17

277. المصدر نفسه، ص17-22.

278. عن مقتل ابن السلار ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص319؛ اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص41-42؛ ابن ظافر، جمال الدين الازدي، (ت:623هـ/1226م)، اخبار الدول المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين، تحقيق اندريه فريه، القاهرة، 1972م، ص103؛ ابو شامة، الروضتين، ج1، ص227؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص146-147.

279. هو ابو الفضل عباس بن ابي الفتوح، يحيى ابن ابي طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي جاء الى مصر من افريقية وهو طفلاً في خلافة الامر باحكام الله فتزوجت امه بلاوة من العادل على بن السلار تولى الوزارة في عام 548هـ/1153م قتل عام 549هـ/1154م للمزيد يظر: اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص27-28؛ ابن ظافر، اخبار، ص108؛ حسن، الفاطميون في مصر ص297.

280. ابن الاثير، الكامل، ج11، ص188.

281.ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص244.

282.الكامل، ج11، ص188.

283.الكلمة تحريف ظاهر للفظ التاريخي(Hospitallers) ويطلق على احدى جمعيات الاخوان الرهبانيين التي شكلت في عهد الحروب الصليبية في الشرق وهي معروف باسم فرسان القديس يوحنا وهنالك بن يعرفها قائلا:((...بانهم مجموعة من فرسان الصليبيين حبسوا انفسهم لحرب المسلمين))، ابن الاثير، التاريخ الباهر، هامش(5) ص41، الحنبلي، شفاء القلوب، حاشية 320، ص120.

284.تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص545.

285.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص321.

286.رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص545، المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، مصر-لا-ت، ص229.

287.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص321.

288.رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص546-547.

289.عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص510؛ دراسات، ص201.

290.هو الملك الصالح ابو الغارات طلائع بن رزيك الارمني المصري وزر للخليفتين الفائز وبعده العاضد فكانت مدة وزارته سبعة سنوات(549-556هـ/1154-1161م) عرف عنه انه كان ادبيا شاعرا سمحا جوادا وكان له الحل والعقد في الدولة قتل عام 556هـ/1161م بتدبير من الخليفة العاضد لدين الله، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، (ت:748هـ/1347م)، سير اعلام النبلاء تحقيق محب الدين ابو اسعد عجو، بيروت-1997م، ج15، ص155-156.

291.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص322؛ابو شامة الرضتين، ج1، ص252-253؛المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص224.

292.ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص331؛ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص155؛المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص23.

293.ابو شاكة، الروضتين، ج1، ص288؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص156؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص234.

294.ابن القلانسي، ذبل تاريخ دمشق، ص353؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص153؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص234.

295.المصدر نفسه، ج3، ص236.

296.تضافرت عدة اسباب داخلية وخارجية لضعف الدولة الفاطمية وسقوطها للمزيد ينظر: الطيار، مدينة القاهرة، ص91-111.

297.ابن الاثير، الكامل، ج8، ص303؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص40، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص125، 225؛ الطيار، القاهرة، 243.

298.ابن الاثير، الكامل، ج8، ص303؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص40؛ ابن تغري بردي، النجوم لزاهرة، ج5، ص125، 255؛ الطيار، القاهرة، ص243.

299.هو ابو القاسم بن الخليفة الظافر لقب الفائز بنصر الله ولد عام 544هـ/ 1149م تولى الخلافة عام 549هـ/1154م وهو طفل صغير لم يتجاوز الخمسة سنوات عرف عنه انه كان مسلوب الارادة توفي عام 555هـ/1160م فكانت مدة خلافة ستة سنوات وخمسة اشهر وسبعة عشر يوما، ابن ظافر، اخبار الدول

المنقطة، ص108–110؛ ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد ص77؛ ابن خلكان، وفيات، ج3، ص491–492.

300. هو ابو محمد عبدالله بن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله لقب بالعاضد بمعنى القاطع ولد عام 546هـ/1151 تولى الخلافة عام 555هـ/1160م توفي عام 567هـ/1171م ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص77–79، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص234؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5 ص334–335.

301. ابن الاثير، الكامل، ج9، ص68؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص243؛ بيومي، علي، قيام الدولة الايوبية في مصر، 1952م، ص37.

302. الكامل، ج9، ص76.

303. المصدر نفسه، ج11، ص274؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص317.

304. ابن الاثير، الكامل، ج11، ص273، ابو شامة، الروضتين، ج1، ص174.

305. عمارة اليمني، نجم الدين ابو محمد عمارة الحكمي (ت:569هـ/1174م)، النكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية، تصحيح هرتوبغ درينريم، شالتون 1897، ص72؛ ابن خلكان، وفيات، ح1، ص156؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ح5، ص317.

306. هو ابو شجاع شاور بن مجبر بن نزار بن عشائر بن شاش السعدي كان وزيراً للخلافة الفاطمية في عهد العاضد قتل عام 564هـ/1169 ابو شامة، الروضتين، ح1، ص130؛ابن خلكان، وفيات، ج1، ص220، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ح5، ص346.

307. هو ضرغام، بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري اصله من بلاد اليمن تولى الوزارة عام 558هـ/1162م قتل على يد اسد الدين شيركوه ومن معه عام 559هـ/1163م، ابو شامة الروضتين، ح1، ص120؛ ابن خلكان، وفيات، ح6، ص145؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ح1، ص137؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ح5، ص346.

308. ابو شامة، الروضتين، ج1، ص130؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ح1، ص137؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص263–266، 278، ابن خلدون، تاريخ، ح5، ص289.

309. دراسات، ص204؛ William of tyre;op.cit,vol, 1,P, 349–350

310. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ح2، ص592، العريني، الشرق الاوسط، ح1، ص622.

311. حسن، الفاطميون في مصر، ص189؛ عاشور، دراسات، 402؛ Oleary 1923, op–cit, p,236.

كانت اولى المحاولات لغزو مصر تتمثل بالمحاولة التي قام بها جودفري يوبون عام 494هـ/1100م اذ حاول ان يكتشف طريق مصر الا انه توفي قبل ان يبدأ مشروعه فجاء من بعده اخاه بلدوين الاول ليكمل ما حاول اخاه القيام به فقام عام 510هـ/1116م برحلة اشتكشافية لطريق مصر عن طريق جنوب فلسطين ووصل الى ايليا وسار حتى بلغ جزيرة سيناء لكنه رجع الى فلسطين وعاود الكرة مرة اخرى عام 511هـ/1117م ووصل الى نهابها وتقدم الى تنيس لكنه مرض وتوفي وهو في طريق عودته عند العريش عام 512هـ/118م، زيادة، محمد مصطفى، مصر والحروب الصليبية، القاهرة–1942م، ص3؛ الطيار، مدينة القاهرة، ص99.

312. دراسات، ص204–205.

313. عاشور، مصر والشام في عصر دولة الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت– 1972م، ص10.

314. ابن الاثير، الكامل، ح9، ص84؛ ابن شداد، ابو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع الاسدي(ت632هـ/1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة.1964م، ص36 ؛ابو شامة، الروضتين، ح1، ص130؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص26؛الطيار، دور العراق، ص176.

315. الشيال، جمال الدين، مصر والشام بين دولتين، القاهرة- 1947م، ص51-52، الطيار، دور العراق، ص177، عاشور، الحركة الصليبية، ح2، ص683.

316. هو بن شادي الملك المنصور اسد الدين ابو البركات عم صلاح الدين الايوبي ومعنى اسمه اسد الغابة او اسد الجبل توفي عام 564هـ/1168م؛ابن خلكان، وفيات، ج2، ص173-176.

317. ابن شداد، النوادر، ص36؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ح2، ص315-316، ابو شامة، الروضتين، ح1، ص130؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص137-138؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص266؛ ابن خلدون، تاريخ ح5، ص289-290؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص387-388، الحنبلي، شفاء القلوب، ص28؛ الطيار، دور العراق، ص176-177.

318. عمارة اليمني، النكت العصرية، ص68، 73؛ ابن الاثير، الكامل، ح11، ص299، القلقشندي، صبح الاعشى، ح10، ص310؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص358.

319. ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص111؛ ابو شامة، الروضتين، ح1، ص167.

320. المرحلة: من خمس فراسخ إلى ستة. المسعودي، ابو الحسن بن الحسين بن علي (ت: 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت-2009م، ج2، ص72 اما الفرسخ فانه يساوي 6كم، هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الأردن-1970م، ص94.

321. Lane poole(s): history of Egxpt in the middle ages ,London, 1901,P,178.

322. ابو شامة، الروضتين، ح1، ص131-132، الحنبلي، شفاء القلوب، ص27، الطيار، دور العراق، ص177.

323. ابن الاثير، الكامل، ح11، ص302؛ ابو شامة، الروضتين، ج1، ص133، ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص143؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص266؛ ابن خلدون، تاريخ، ح5، ص290؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص27؛ الطيار، دور العراق، ص177.

324. ابن واصل، مفرج الكروب، ح1، ص140.

325. التاريخ الباهر، ص122.

326. حبشي، نور الدين والصليبيين، القاهرة- 1948م، ص108-109.

327. قيام الدولة الايوبية، ص111.

328. الطيار، القاهرة، ص103-104.

329. الروضتين، ج1، ص167.

330. يقال لهم لواته باسم ابيهم بطن من البتر من البربر وهم بنو لواته الاصغر بن لواته الاكبر بن رحيك بن مادغش بن بربر، القلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق ابراهيم الابياري، القاهرة، لا.ت، ص411.

331. عمارة اليمني، النكت العصرية، ص78-79؛ حسن، الفاطميون في مصر، ص192.

332. ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص133، ابو شامة الروضتين، ح1، ص142، ابن واصل، مفرج الكروب، ح1، ص90-94.

333. النوادر السلطانية، ص132.

334. شفاء القلوب، ص29؛ الطيار، دور العراق، ص178.

335. المرجع نفسه، ص178؛ William of tyre, op.cit, vol,1,p.314

336. ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص132؛ ابو شامة، الروضتين، ج1، ص142؛ ابن واصل مفرج الكروب، ح1، ص149؛ الطيار، دور العراق، ص179.

يشير Baldwin(w) انه عندما استنجد شاور بعموري دعى الاخير باروناته الى عقد اجتماع عاجل لدراسة ما تتعرض له المملكة الصليبية من اخطار اذا ما استولى نور الدين محمود على مصر فوافق المجتمعون على توجيه حملة الى مصر لمنع وصول نور الدين اليها فضلا عن ذلك اتخاذ الاجراءات اللازمة لتامين المملكة ضد أي هجوم متوقع من قبل نور الدين محمود وجيشه للمزيد ينظر: The latin statesunder Baldwin III and amairic I,(ed) by setton in ahist of the cusdes, P.552.

337.سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8-ق1، ص268؛ ابن واصل مفرج الكروب، ج1، ص148؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص348.

338.سبط ابن الجوزي، مراة الزمان ح8، ق1، ص268، حسن، الفاطميون في مصر، ص191.

339.ابو شامة، الروضتين، ج1، ص168.

340. Lanepoole,op.cit, p.179-181; willam of tyer;op.cit, vol,1 ,p.320-321.

341.من مدن مصر القديمة تقع على الشاطىء الشرقي للنيل تعرف اليوم بالشرقية، أبن مماتي، الاسعد بن مماتي(ت:606هـ/ 1209م)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطيه، القاهرة. 1943م، ص102.

342.هي اقرب الى الفسطاط والقاهرة موقعها في الاقليم موقع الفسطاط كان طولها وعرضها متساوي تقع على ضفة النيل ويقابها جزيرة المقياس وقد اختطها عمرو بن العاص؛القلقشندي صبح الاعشى، ح3، ص450.

343.عمارة اليمني، النكت العصرية، ص80؛سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8-ق1، ص268،

344.William of tyre:op.cit, vol,1,p.325.

345.الفاطميون في مصر، ص191.

346.، سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8- ق1، ص268-270؛ ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص133؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، 323؛ ابو شامة، الروضتين، ج1، ص142-143؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص150؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص30؛ ، William of tyre:op.cit, vol,1,p.332

وعن موقعة البابين ينظر:ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص133؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص323؛ ابو شامة، الروضتين، ج1، ص142-143؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص150؛ حبشي، نور الدين والصليبيون، ص114.

347.التاريخ الباهر، ص133؛ الروضتين، ج1، ص143.

348.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص134؛ الطيار، دور العراق، ص179.

349.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص133؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص324، ابو شامة، الروضتين، ج1، ص143؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص151، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص217؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص349 يذكر ابو شامة ان اهل الاسكندرية سلموا مدينتهم الى شيركوه خوفا ان تقع بايدي الصليبيين، للمزيد ينظر: الروضتين، ج1، ص143.

350.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص133؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص324؛ ابو شامة، الروضتين، ج1، ص143؛ أبن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص151؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج12، ص217؛ ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص291؛ الطيار، دور العراق، ص179.

351.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص134؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص324، ابو شامة، الروضتين، ج1، ص143؛ ابن وصل، مفرج الكروب ج1، ص151؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص271؛ الطيار، دور العراق، ص180.

352.سعداوي، نظير، جيش مصر في ايام صلاح الدين، القاهرة-1956م، ص12.

353.العريني، السيد الباز، مصر في عصر الايوبيين، مصر- 1960م، ص30.

354.ابن شداد، النوادر السلطانية، ص37-38، ابن واصل؛ مفرج الكروب، ج1، ص152 بينما يذكر الحنبلي مئة الف دينار، شفاء القلوب، ص30، الطيار، دور العراق، ص180.

355.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص134؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص324، ابو شامة، الروضتين، ج1، ص143، ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص152؛ابن كثير، البداية النهاية، ج12، ص217؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص30؛ الطيار، دور العراق، ص180.

356.سبط ابن الجوزي، مراة الزامان، ج8-ق1، ص275؛ عاشور، دراسات، ص211.

357.المرجع نفسه، ص211

charanis (T),:the byzatine Empire in the eleventh century, (ed) by setton in history of the crusades, newyork- 1955, vol,1,p.502

358.عاشور، دراسات، ص211.

359.Baldwin;op.cit.P,555,Charanis(J),crousset,op.cit, vol,1,P.506-510.

360.عاشور، دراسات، ص212.

361.الكامل، ج 11، ص335-336.

362.عاشور، دراسات، ص212.

363.الكامل، ج11، ص335.

364.عمارة اليمني، النكت العصرية، ص81.

365.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص134؛ ابن وصل، مفرج الكروب، ج1، ص152.

366.الروضتين، ج1، ص170.

367.المصدر نفسه، ج1، ص167.

368.عمارة اليمني، النكت العصرية، ص80 ؛سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8- ق1، ص275؛ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص326؛ابو شامة، الروضتين، ج1، ص171؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص157؛ابو الفدا، تتمة المختصر، ج3، ص43؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص350؛ الطيار دور العراق، ص181.

369.هي ارض في وهده واسعة طولها نحو ميل مشرفه على نيل مصر خلف القرافة تزرع فتكون نزهة خضرة وهي من اجل منتزهات مصر وانها ليست ببركة ماء، انما شبهت بها وتعرف ايضا ببركه المعافر او بركه حمير للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ح1، ص406؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص381.

370.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص138.

371.المصدر نفسه، ص138؛ الكامل، ج11، ص366؛ ابو شامة، الروضتين، ح1، ص171؛ ابن واصل، مفرج الكروب ج1، ص157؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ح5، ص350.

372.شفاء القلوب، ص33.

373.ابن العديم، زبدة الحلب، ح2، ص326.

374.التاريخ الباهر، ص138؛ المقريزي؛ الخطط، ح1، ص636.

375.سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8- ق1، ص272-273؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص154.

376.المصدر نفسه ج1 ص157.

377.شفاء القلوب، ص33-34.

378.قرية من قرى مصر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص149.

379.ابو الفدا، تتمة المختصر، ج3، ص45.

380.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص138-139؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص158.

381.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص139؛ الكامل، ج11، ص388، ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص160؛ ابو الفدا، تتمة المختصر، ج3، ص47.

382.ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص231.

383.Run ciman;op.cit, p,382.

384.William of tyre:op.cit, vol,p,354.

385.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص139.

386.سبط ابن الجوزي، مراة الزمان ج8- ق1، ص277؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص327؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص351-352 ؛الطيار، دور العراق، ص182.

387.ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص161؛ الطيار، دور العراق، ص182.

388.التاريخ الباهر، ص139؛ الطيار، دور العراق، ص182.

389.مفرج الكروب، ج1، ص160؛ الطيار، دور العراق، ص182.

390.الكامل، ج11، ص339؛ ابو الفدا، تتمة المختصر، ج3، ص45؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص351.

391.المصدر نفسه، ج5، ص351.

392.مراة الزمان، ج8- ق1، ص277.

393.ابن الاثير، الكامل، ج11، ص340؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص40.

394.الروضتين، ج1، ص171.

395.مراة الزمان، ج8- ق1، ص276.

396.النكت العصرية، ص88.

397.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص139-140؛ ابن شداد، النوادر، ص40، ابن العديم، زبدة الحلب، ج2؛ ص328.، ابو شامة، الروضتين، ج1، ص172، ابن خلكان، وفيات، ج6، ص149-150؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص163، 168؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص35-43؛ الطيار، دور العراق، ص183.

398.ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص142.، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص40.، ابو شامة الروضتين، ح1، ص173.، ابن واصل، مفرج الكروب، ح1، ص168.، الطيار، دور العراق، ص183.

399.للاطلاع على خلعة الوزارة ينظر: المرجع نفسه، ص183.

400.ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص328؛ ابو شامة الروضتين ج1، ص173؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج6، ص154؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص169؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص275.

401.Boldwin:op.cit, p.556.

402.ابن الاثير، الكامل، ج11، ص351.

403.مفرج الكروب، ج1، ص179.

404.عاشور، الناصر صلاح الدين، ص85؛ Boldwin:op-cit,P.556; Lane poole,:op-cit, P.103

405.William of tyre, op.cit, vol,1 ,360

406.الكامل، ح11، ص351.

407.عاشور، الناصر صلاح الدين، ص86.

408.Lonepoole, op.cit, p,103; willam of tyre:op.cit, vol,1 ,p.348, 556.

409.عاشور، دراسات، ص219.

410. charanis: op.cit,P,544; william of tyre:op.cit,vol,1, p.362.

411. ابن شداد، النوادر، ص41-42؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص180،
William of tyre:op.cit, vol,1,p,363.

412. عاشور، الناصر صلاح الدين، ص87.

413. ابن الاثير الكامل، ج11، ص351-P352 ابن واصل، مفرج، ج1 ص181.

414. ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص80.

415. ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص143؛البنداري، قوام الدين الفتح بن علي(ت643هـ/1251م)، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، مصر- 1979م، ص45.

416. ابن الاثير، الكامل، ج11 ص352؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص181.

417. سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8-ق1، ص279؛ ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص144؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص42-43؛ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص183؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص7؛ حسن، الفاطميون في مصر، ص198.

418. Baldwin, op.cit, p.557,Lane poole, op-cit,p.103; william of tyre:op.cit, vol,1,364.

419. William of tyre ,Ibid,vol,1,p,366.

420. william of tyre, ibid, vol,1,p,367.

421. Rucima:op.cit, p,387.

422. البنداري، سنا البرق الشامي، ص45؛ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم(ت:807هـ/1404م)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، البصرة(1967-1970م)مج4، ص85.

423. ابن الاثير، الكامل، ج11، ص352؛مفرج الكروب، ج1، ص154.

424. ابن شداد، النوادر السلطانية، ص43.

425. william of tyre, op.cit, vol,1,p,369.

426. ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص144؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1934م، ح1، ص64.

427. قلعة بعد غزة للقاصد من مصر الواقف فيها يرى البحر بينها وبين البحر فرسخ خربها صلاح الدين لما ملك الساحل، ياقوت الحموي معجم البلدان، ح2، ص424.

428. الكامل، ج11، ص365.

429. المصدر نفسه، ج11، ص365؛ مفرج الكروب، ج1، ص199.

430. عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص560.

431. ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص156؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص45؛ابو شامة، الروضتين، ج1، ص200-201؛ العليمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن مجبر الحنبلي(ت:928هـ/1521م)، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، قدم له محمد بحر العلوم، النجف-1968م، ص364.

432. ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص116؛ ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد، ص79 ؛ابو شامة، الروضتين، ج1، ص194؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص102 ؛المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص343؛ الطيار، القاهرة، ص110-111.